كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية في علوم القرآن الكريم

يصـــدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشؤون رقم ٨٣٣

العددان السابع والثامن	رجب وشعبان ١٣٧١ إبريل ومايو ١٩٥٢	رئيس التحرير علي محمد الضباع	السنة الرابعة

الاسلام ومصالح الناس

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد الوهاب خلاف بك

قال لي كبير من المسلمين الغيورين : إن الإسلام بالصورة التي يتصورها الآن أكثر المسلمين لا تحقق أحكامه مصالح الناس الاقتصادية ولا تساير تطورات المعاملات المالية ولا تتفق وما تقتضيه سعة الحركات التجارية واستثمار الأموال بما يسر الله من طرق الاستثمار .

وكيف تتفق أحكامه ومصالح الناس الاقتصادية وهي تقضي بإقفال البنوك والمصارف المالية ، وبحل شركات التأمين بأنواعها ، وهدم مؤسسات التوفير والادخار وتحريم أنواع كثيرة من المضاربات ، فهي تقضي بشل الحركة المالية ، والوقوف في حدود دائرة ضيقة من المعاملات

والمبادلات . وبعبارة أخرى تقضى بأن يعيش المسلمون معيشة البدو ، ولا يتبادلون والأمم المتحضرة معاملات ولا مبادلات .

وقد رأيت تحقيقاً للحق ، وإزالة للشبهة أن أكتب مقالا فى هذا الشأن .

إعلم أيها المسلم ـ ألهمنى الله وإياك الصواب ـ أن الأحكام التى جاء بها الإسلام : أحكام اعتقادية تقرر مايجب على المسلم اعتقاده فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأحكام عملية تقرر مايطلب من المسلم أن يفعله وما يطلب منه أن يكف عنه . وهذه الأحكام العملية نوعان : أحكام تتعلق بالعبادات ، وأحكام تتعلق بالمعاملات .

فأما الأحكام الاعتقادية فقد فصلها القرآن أتم تفصيل ، وأقام عليها أظهر البراهين ، ومحورها وروحها أنه لا إله إلا الله ، وأن للناس معاداً إلى الله ، ولا يرتاب منصف على فطرته السليمة التى فطره الله عليها فى أن العقيدة التى محورها وحدانية المعبود وعودة الخلق إلى خالقهم ، هى العقيدة التى تتفق ومصالح الناس فى هذه الحياة أفراد وجماعات . فهى تتفق ومصلحة الفرد ، لأنها تربأ بكرامته أن يذل بذل العبودية لصنم أو وثن أو مخلوق مثله ، وتربأ بعقله أن تسيطر عليه الأوهام والأباطيل وأن يتخذ من دون الله ما لا برهان به ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ، وهى تتفق ومصلحة الجماعة لأنها تربطهم بوحدة المعبود ، ووحدة الاتجاه إليه والالتجاء إليه ، والشعور بأن لهم معاداً إليه ، فالأحكام الاعتقادية فى الإسلام لا شبهة فى أنها أحكام تقرها الفطرة السليمة ، ويهدى إليها العقل الصحيح ، وتتفق ومصالح الناس أفراداً وجماعات فى أى زمن . وفى أية بيئة ، وليس وراء ما فصل الله منها مجال لباحث .

وأما الأحكام العملية المتعلقة بالعبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج وصدقة ونحوها فهذه أيضاً فصلها القرآن وما أجمله فصله الرسول

وبينه أتم تبيين ، ومحورها وروحها عبادة الله بأنواع شتى من العبادات البدنية والمالية ، وما بين يومية وسنوية ، ليبلو المعبود إيمان عباده به ، وليميز الصادقين منهم والكاذبين وقد بين الله سبحانه أن هذه العبادات التى فرضها الله على عباده ما قصد بها مجرد ابتلائهم واختبار صدق إيمانهم وتذكيرهم بألوهيته وسلطانه ، وإنما قصد بها إلى هذا تحقيق مصالحهم وجلب النفع لهم ، ودفع الضرر عنهم ، فقال سبحانه فى الصلاة : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » وقال فى الصوم : « لعلكم تتقون » وقال فى الزكاة : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقال فى الحج : (ليشهدوا منافع لهم) . فأحكام العبادات فى الإسلام لا ريب فى أنها تتفق ومصالح الناس ، لأنها تهدف إلى تهذيب نفوسهم وتربية ضمائرهم ، وتكوين بيئة صالحة ينتهى الأفراد فيها عن الفحشاء والمنكر ، ويتقون الشرور والآثام ، ويتبادلون النفع والمعونة ، ويشهدون منافعهم وما جعل الله فيها من حرج ، وما كلف مسلماً منها إلا بما فى وسعه ، وليس وراء ما فصله الله ورسوله من أحكامها مجال لباحث . والمعبود يعبد بما أراد أن يعبد به ، كما ، وكيفاً وزماناً ، ومكاناً .

وأما الأحكام العملية المتعلقة بمعاملات الناس من بيع وإجارة ، ورهن ومضاربة ، وعقوبات وجنايات وطرق المخاصمات ، وغير هذا من المدنيات والجنائيات ، وكل ما يتعلق بتنظيم معاملات الناس وعلاقاتهم بعضهم ببعض أفراداً وجماعات ، فهذه مافصلها القرآن ، وإنما اكتفى فيما ذكره منها بالإجمال ، واقتصر على الأحكام الأساسية لأن الله سبحانه ما قصد بما شرع من أحكام المعاملات إلا تحقق مصالح الناس ، ومنع الإثم والبغى ، وأن يأكل بعضهم مال بعض بالباطل ، وأشار سبحانه بتفصيله أحكام العقائد وأحكام العبادات ، وإجماله أحكام

المعاملات ، إلى أن المسلمين عليهم أن يفصلوا أحكام معاملاتهم بما يلائم بيئاتهم وما يتفق ومصالحهم في حدود الأسس التي وصفها القرآن ، فهو سبحانه لم يفصل لهم أحكام معاملاتهم ، ولم يبين جزئياتها ، ليكونوا في سعة من مسايرة التطورات الاقتصادية والحركات التجارية .

فأحكام البيع في القرآن أربعة أحكام ، وكلها أحكام أساسية لا تختلف باختلاف البيئات والتطورات (وأحل الله البيع وحرم الربا) . (وأشهدوا إذا تبايعتم) ، (لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم) ، (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) .

وما جاء بالسنة في البيع أكثره تفسير وتبيين ، وكذلك الشأن في الإجارة والرهن والمداينة والمضاربة وغيرها من أنواع المعاملات ، وفي الحرام والعقوبات ، وفي أصول المرافعات ، وفي الأحكام الدستورية ونظام الحكم ، وكل ما يختلف باختلاف البيئات ، ويتغير بتغيير المصالح .

والأحكام التي استنبطها المجتهدون في البيع والإجارة والرهن والمضاربة والمداينة وغيرها إنما هي أحكام استنبطوها تحقيقاً لمصالح الناس في عصر استنباطها ، وما استنبطوها لتكون قانوناً مدنياً واجباً على المسلمين تنفيذ أحكامه في كل زمان وفي أية بيئة ، ولهذا خالف مجتهدو العراق مجتهدي الحجاز في كثير من الأحكام المدنية . تبعاً لاختلاف البيئتين وخالف الشافعي وهو في البيئة المصرية بعض أحكامه التي استنبطها وهو في البيئة العراقية أو الحجازية . وكثيراً ما قال المجتهدون في بعض الأحكام التي اختلفوا فيها : إنه اختلاف عصر وزمان ، لا اختلاف حجة وبرهان . وقال محمد بن الحسن عن أبي يوسف في بعض المسائل : لو رأى صاحبي ما رأيت في مرو لغير رأيه . نستخلص من هذا أن القرآن والسنة

الصحيحة التشريعية التي ليست زمنية ليس فيها ما يقف عقبة في سبيل مصالح الناس الاقتصادية . بل فيها الأساس الصالح لكل تشريع مالي يساير تطورات الناس ويحقق نفعهم ويدفع الضرعنهم ، فالله سبحانه قال في كتابه الكريم : « إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » والرسول ﷺ قال في حديثه الصحيح : « لا ضرر ولا ضرار » . فكل مبادلة تجارية عن تراض بين المتبادلين وليس فيها ضرر لأحدهما ولا لغيرهما من الناس هي مشروعة ومباحة .

وكان الواجب أن يكون دستور المسلمين ومرجعهم في معرفة أحكام العقود والتصرفات والشركات والمضاربات والمعاملات : هل هي تجارة عن تراض ، وهل فيها ضرر أوضرار؟ وعلى ضوء هذا يكون الحكم .

ولكن الدستور الذي يرجعون إليه هو استنباطات المجتهدين السابقين التي استنبطوها في عصرهم لمصالحهم ، فإذا أريد معرفة حكم نوع من الشركات أو المعاملات رجعوا إلى عبارة المتن أو الشرح وحكموا بعبارتها أو إشارتها أو بالقياس عليها ، ولا ريب في أن تطبيق هذه الأحكام الجزئية في غير عصرها وفي غير بيئتها لا يتفق والمصالح ، ولا يساير التطورات .

كلنا نعلم أن المسلمين فتح الله لهم بلاد الفرس والرومان ، وأن أحكام الإسلام كانت تنظم معاملات الناس المالية في بلاد الحجاز وفي بلاد الامبراطوريتين الفارسية والرومانية وما ضاقت أحكام الاسلام بحاجات الناس في هذه البلاد المتنائية والبيئات المختلفة ولا قصرت عن مصالحهم .

وكلنا نعلم أن الأمصار الاسلامية : بغداد وقرطبة ودمشق وحلب وحمص والقاهرة والقيروان بلغت الحضارة فيها مبلغاً عظيما ، وزادت فيها حركة التجارة والمعاملة وزاد الثراء ،

وما ضاقت أحكام الإسلام بهذه السعة، ولا وقفت عن مسايرة الحضارة.

ذلك لأن المسلمين كان فيهم ذوو المواهب الذين آمنوا بأن الأحكام إنما شرعت لمصالح الناس، وأن مصادر التشريع مرنة لا تجمد عن تحقيق مصالح الناس، فاجتهدوا وسايروا باجتهادهم التطورات والمصالح، فلما حرم المسلمون على أنفسهم أن يجتهدوا، وأوجبوا على أنفسهم أن يقلدوا من سبقهم، وأن يتبعوا أحكاما اجتهادية استنبطت لغير زمانهم ولغير مصالحهم ـ أظهروا الإسلام بمظهر القاصر عن مسايرة المصالح، وحب من لم يعرف الحقيقة أن الاسلام لا يتفق ومصالح الناس، والحق أن الاسلام من هذا برىء، والعيب عيب المسلمين وجمودهم، ووقوفهم عند ألفاظ المتون وعبارات الشروح، وتركهم الينبوع الصافى الذى يروى وارده، والسراج الذى يهدى إلى الحق : كتاب الله وسنة رسوله .

ذكاء

خرج أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار فأمعن فى نزهته انتبذ من أصحابه . . فوافا خباء الأعرابى فقال له الأعرابى ممن الرجل ؟ قال من كنانه . قال من أى كنانة ؟ قال من أبغض كنانته إلى كنانته قال فأنت إذن من قريش ؟ قال نعم . قال فمن أى قريش ؟ قال من أبغض قريش إلى قريش . قال فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال نعم . قال فمن أى ولد عبد المطلب أنت ؟ قال من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب قال فأنت إذن أمير المؤمنين .

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فاستحسن ما رأى منه وأمر له بجائزة

تفسير القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجن

— ٢ —

لفضيلة الشيخ عبد الرحيم فرغل البلينى ـ المدرس بكلية الشريعة

أما وقد جاء الهدى الذى سمعناه من ذلك الرسول المبعوث فينا، فسنتجه جميعاً إلى الخير الكامل، وسنسير مجتمعين على مذهب واحد فى خير العاجلة وسعادة الآجلة.

أقول: ويظهر من قوله تعالى: « كنا طرائق قددا » بالمعنى السابق أن هؤلاء الأدنون الذين هم أقل من الفريق الأول فى الصلاح، كانوا ذوى مذاهب مختلفة وآراء متباينة، وعلى ذلك يتأتى قوله تعالى: « كنا طرائق قددا » الذى يفيد أنه يتألف من مجموع الفريقين أصحاب آراء متباينة.

النوع الحادى مما حكاه الله عن الجن هو المذكور فى قوله تعالى: « وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا ».

« ظننا » علمنا واعتقدنا، وكثيراً ما يأتى الظن بمعنى العلم.

و(المعنى)

وأننا علمنا وتيقنا الآن بعد سماع القرآن والايمان أن الشأن لن نعجز الله حال كوننا فى الأرض أينما كنا من أقطارها، ولن نعجزه حال كوننا هاربين منها إلى السماء. وكأنه قيل: لن نعجزه سبحانه فى الأرض ولا فى السماء.

وكأنهم يريدون بهذه المقالة أن يلفتوا نظر قومهم إلى أن قوتهم التى يعتزون بها، وقدرتهم التى يتمكنون بها من الجواب فى أقطار الأرض وآفاق السماء، لن تحسب شيئا فى جانب قوة الله الباهرة، وقدرته القاهرة، التى يذل بها كل جبار عنيد، ويخضع

بها كل شيطان مريد ، فالواجب إذاً الكف عن الأذى ، والاقلاع عن التمادى فى الشر ، والأخذ بأهداب هذا الدين الجديد دين محمد بن عبد الله الذى يهدى إلى سواء السبيل .

النوع الثانى عشر مما حكاه الله عن الجن هو المذكور فى قوله تعالى : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا » .

« الهدى » القرآن ، « آمنا به » أى بالقرآن ، « فلا يخاف » جملة اسمية والتقدير : فهو لا يخاف ، وهى تدل على تحقق النجاة لا محالة ، وعلى أن المؤمن هو المختص بذلك دون غيره ، لأن قوله : فهو لا يخاف ، معناه أن غيره يكون خائفاً ، و« البخس » النقص ، و« الرهق » الظلم .

و« المعنى »

وأنا لما سمعنا القرآن الذى هو الهدى بعينه آمنا به من غير تردد ولا تلكؤ . فمن يؤمن بربه وبما أنزله عز وجل على نبيه فهو لا يخاف نقصاً فى الثواب والجزاء . ولا يخاف ظلماً لا يطاق تحمله : بأن يحرم الأجر والثواب ، أو يحمل عليه من سيئات غيره ، وهذا رهق وأى رهق ، لكن المؤمن آمن من ذلك .

ولقائل أن يقول : فى هذه الآية تكرار لقولهم : فى مطلع السورة : « فآمنا به » .

والجواب : أن فى هذه الآية عوداً إلى ذكر نعمة الايمان والشكر له تعالى على أن وفقهم إليها ، فإن فى ذكر النعمة وترديدها على الأفواه عناية بها ، - وإن فى إعلان الحمد والثناء على مسديها استزادة منها .

النوع الثالث عشر مما حكاه الله عن الجن هو المذكور فى قوله تعالى : « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا »

«القاسطون» هم الجائرون بكفرهم ، يقال : قسط الرجل إذا جار ، «أولئك» اسم إشارة يعود إلى من أسلم ، « تحروا »

قصدوا وتوخوا ، « رشدا » هداية .

ولبيان المعنى نقول : قد سبق التصريح من هؤلاء النفر الذين سمعوا القرآن أنهم آمنوا : فقولهم الآن : « وأنا منا المسلمون » يريدون به اجتذاب قومهم إلى الاسلام وإيقاظهم من غفلتهم ، فأدخلوا أنفسهم فى جملتهم وقالوا لهم : من مجموعنا فريق مسلمون وفريق كافرون ، ـ ومما لا شك فيه أن هذا الأسلوب من الكلام فيه اجتذاب للخصم،وتلطيف من حدته ، وتخفيف من عصيانه ومخالفته .

و(المعنى)

وأنا معشر الجن بعد العلم بذلك الرسول وبما تلاه ـ : منا المسلمون ومنا الكافرون الجائرون عن طريق الحق،فمن أسلم منا واتبع الحق فأولئك طلبوا الرشد ، وتوخوا الهداية ، ـ وأما القاسطون العادلون عن الرشد والهداية ، فكانوا بسبب كفرهم وسوء اختيارهم وقوداً لجهنم .

قال الرازى : فإن قيل : لم ذكر عقاب القاسطين بقوله: « فكانوا لجهنم حطبا » ولم يذكر ثواب المسلمين ؟ ـ كان الجواب بل ذكر ثواب المسلمين بقوله : « تحروا رشدا » أى توخوا رشدا عظيما ، لا يبلغ كنهه إلا الله ، ومثل هذا لا يتحقق إلا فى الثواب .

وإن قيل : الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبا للنار؟ ـ كان الجواب أنهم وإن خلقوا من النار لكنهم تغيروا عن تلك الكيفية وصاروا لحما ودما . هكذا قيل ، وها هنا آخر كلام الجن اهـ (رازى).

ثم قال الله سبحانه وتعالى :

« وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ،لنفتنهم فيه ، ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا »

« بيان المباحث »

هذا من مقول الله سبحانه وتعالى عن الأكثرين،موحى به إلى محمد ﷺ وليس من مقول الجن ـ كما قيل به ـ وهو معطوف على « أنه استمع » فى فاتحة السورة ، وعليه يكون جميع ما

تقدم معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه ، جيء به تنبيها للمشركين إلى أن الجن اهتدوا مع أن شأنهم التمرد ، فالواجب عليهم أن يهتدوا مثلهم ، بل كان الأولى لهم ذلك .

والدليل على أنه من مقول الله لا من مقول الجن قوله تعالى: «لأسقيناهم» وقوله : « لنفتنهم » ولو كان من مقول الجن لقيل : لأسقاهم ، وقيل : ليفتنهم . اه (ألوسى) .

وكلمة « أن » مخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير الشأن ، أى وأنهم لو استقاموا .

والضمير فى « استقاموا » يرجع الى كفار الجن القاسطين الجائرين .

و « الطريقة » ملة الاسلام .

والاستقامة على ، السلوك فيها بصبر وثبات ودوام . و«غدقا» كثيرا .

وليس المراد كثرة الماء ، بل المراد ما يلزمها من كثرة الرزق والخير والسعة .

وإنما اقتصر على ذكر الماء الكثير لأن الخير فيه ، قال سيدنا عمر رضى الله عنه : أينما كان الماء كان المال .

واللام فى « لنفتنهم » لام التعليل

ومعنى : « نفتنهم » نختبرهم ومعنى « لنفتنهم فيه » لنختبرهم بسبب الماء .

والمراد : لنعاملهم معاملة المختبر بسبب نعمة الماء وما يترتب عليها من الخير حتى نعلم مقدار شكرهم علم ظهور .

ومعنى قوله : « عن ذكر ربه » عن وحى ربه ودينه ومعنى «يسلكه» يدخله .

ومعنى : « عذابا صعدا » عذابا شديدا شاقا .

و « المعنى »

قل يا محمد . أوحى إلى أن الشأن لو استقام هؤلاء القاسطون الجائرون على الطريقة المثلى التى يرضاها لهم ربهم لوسعنا عليهم فى الرزق ، وألنا لهم العيش ، وأجزلنا لهم النعم يتقلبون فى رغدها ، وغضارة عيشها .

كل ذلك لنعاملهم معاملة المختبر ، حتى نعلم مقدار شكرهم لنعمتنا علم ظهور للخلق كما علمناه قبل وقوعه .

وليست النعمة من الله على العبد المجرد إثابته وجزائه على طاعته ، بل كما تكون لهذا تكون فى الوقت نفسه فتنة واختبار ، وامتحاناً وابتلاء تصبح الأمم منها عرضة للخطر والانحدار إلى مهاوى التعاسة والشقاء ، والخسارة والفناء .

وذلك يكون بالعدول عن الطريقة التى استقاموا عليها ، والتى كانت سببا لسعادتهم وفلاحهم .

فالله سبحانه وتعالى يرشد الأمم والشعوب إلى طريقة مثلى من دينه وحسن طاعته ، ومراعاة سننه ، فيقول لو استقام القاسطون أفلحوا وسعدوا ، لكنهم وهم فى هذا الفلاح والسعادة على فرض وجوده بينهم بسبيل الغفلة والذهول ، والزهو والغرور، والتنكب عن الطريق المثلى ،طريق الدين والحق وحسن العمل ، فما أحراهم وقتئذ أن يكونوا فى هذه التجربة ذوى أقدام ثابتة ، وعزائم قوية ، حتى يجتازوا العقبة ، ويتخطوا المزلق ، ويصلوا إلى مرفأ السلامة آمنين .

وجملة : « ومن يعرض عن ذكر ربه » إلخ . . . تهديد لمن يحيد عن الاستقامة عند عضارة الدنيا وسعادتها ، ورغد العيش ولينه .

و « المعنى »

ـ ومن يعرض عن طاعة الله من أولئك الذين أسقيناهم ماء غدقا،وذلك بعد أن استقاموا على الطريقة المثلى أثناء اجتيازهم دور الفتنة والاختبار يدخله عذابا شاقا يعلوه ويغلبه،ويقهره ويفدحه

ثم قال الله تعالى :« وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » هذا أيضا من مقول الله سبحانه وتعالى موحى به إلى محمد ﷺ ، وليس من مقول الجن وهو كسابقه معطوف على «أنه استمع» أى وأوحى إلى أن المساجد لله .

و« المساجد » جمع مسجد بكسر الجيم ، والمراد بها البيوت المعدة للعبادة والصلاة . و« اللام » فى « لله » للاختصاص ، أى المساجد مختصة بالله

ومعنى :« فلا تدعوا » فلاتعبدوا

والخطاب فى « تدعوا » للمشركين ، لأنهم كانوا إذا دخلوا المسجد الحرام دعوا مع الله أصنامهم ، فأمرهم الله تعالى أن يوحدوه وعلى هذا تكون الآية توبيخا للمشركين على هذا الفعل الذميم

و (المعنى)

وأوحى إلى أن بيوت العبادة والذكر مختصة بالله ، خالصة له وحده ، وإذ كانت كذلك فلا تعبدوا معه سبحانه وتعالى فيها أحدا ، فلا تسجدوا لأصنامكم ولا تخضعوا لها ، ولا تتقربوا بها إليه ، بل طهروها من هذه الأرجاس وبرؤوها من هذه المعبودات الزائفة التى لا تملك لكم نفعا ، ولا تدفع عنكم ضرا .

ثم قال الله تعالى : « وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا » هذا أيضا معطوف على « أنه استمع » السابقة ، وهو من قول الله تعالى ، موحى به إلى محمد ﷺ

(بيان المباحث)

(قام) - المراد بالقيام القيام بالرسالة (عبد الله) هو سيدنا محمد ﷺ (يدعوه) يعبده

وإيراده عليه الصلاة والسلام بلفظ العبد دون لفظ النبى أو الرسول ، للتنبيه على أن العبادة من العبد لا تستبعد وقد نقل ﷺ كلام ربه سبحانه وتعالى كما هو رفعا لنفسه من البين اهـ آلوسى والضمير فى (كادوا) لكفار قريش والعرب و « لبدا » متراكبين ، وهى بحسب الأصل خيوط الشعر والصوف التى تلبدت وتجمعت ٢ - أى كادوا يكونون فى تراكبهم عليه كاللبد

و (المعنى)

وأوحى إلى أن الشأن لما قام محمد ﷺ بالرسالة ، يعبد الله وحده مخالفا المشركين فى عبادتهم الأوثان ، كان لتظاهرهم عليه ، وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكبين كاللبد فى تجمعهم ، ليبطلوا الحق الذى جاء به ، ويطفئوا النور الذى سطع من رسالته ،

فأبى الله إلا أن ينصره، ويظهره على من عاداه وناوأه، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

ثم قال الله تعالى: (قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا).

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أن قريشا لما تراكوا على النبي ﷺ، ليصدوه عن دعوته قالوا له فى أثناء ذلك. إرجع عما أنت عليه، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجيبهم بهذا القول.

و (المعنى)

قل يا محمد لهؤلاء المشركين المتظاهرين على صد دعوتك، الطالبين منك الرجوع عن أداء واجبك: إنما أعبد ربى الذى أوجدنى من العدم، ورباني بجلائل النعم، ولا أشرك به أحدا من معبوداتكم التى لا تملك من الأمر شيئا، وليس ذلك ببدع ولا مستنكر يطلب منى الرجوع عنه، ويستدعى الاطباق على عداوتى.

ثم قال الله تعالى:

(قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا، إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا).

(بيان وجه الربط)

وجه الربط أن ما قبل هذه الآيات يشعر بأن قومه لما تظاهروا عليه مريدين إبطال دعوته أكثروا أيضا من محاجته ومناظرته، فأرشده الله فى هذه الآيات إلى أفضل الطرق وأمثلها فى خطاب قومه ومحاجتهم فى الله، وتخويفهم عقابه وانتقامه.

(بيان المباحث)

«ضرا ولا رشدا»

الرشد ـ الصلاح بحسب الأصل، ثم قيل: المراد به النفع هنا لأن النفع يتسبب عنه.

و «المعنى» لا أستطيع أن أضركم ولا أنفعكم، إنما الضار والنافع هو الله تعالى.

وقيل : إن الأصل فى تركيب الآية الكريمة : « لا أملك لكم ضراً ولا نفعا ، ولا غياً ولا رشدا » فحذف « نفعا » من الأول ، لدلالة ضراً عليه ، وحذف « غيا » من الثانى لدلالة رشداً عليه . ـ وهو نوع من البلاغة يسمى بالاحتباك ، ويعرف بأنه الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه ، والحذف من الثانى لدلالة الأول عليه .

و(المعنى)

قل يامحمد فى محاجة هذه القبائل التى ازدحمت عليك ، لإطفاء نور رسالتك : إنى لا أملك لكم نفعاً ولا ضرا ، ولا غيا ولا رشدا ، إنما الذى يملك ذلك هو الله تعالى .

أما قوله تعالى : « قل إنى لن يجيرنى من الله أحد » إلخ . .

فمعناه ما يأتى :

« من دونه » من غيره .

« ملتحدا » ملجأ وملاذا ، وأصله المدخل فى الأرض ، مأخوذ من اللحد ، وهو الميل ، يقال : لحد فلان إلى فلان إذا مال إليه .. ولما كان الملجأ والملاذ يميل إليه الهارب للاعتصام به سمى ملتحدا .

وقوله : « إلا بلاغاً » استثناء متصل من « ضراً ورشدا » بعد تأويلها بشيئاً ، كأنه قيل : لا أملك شيئا إلا تبليغاً كائناً من الله ، ورسالات أرسلنى بها عز وجل ، ـ والمراد بالرسالات سور القرآن وآياته التى أنزلت عليه من الله تعالى ليتلوها عليهم .

وعلى هذا يكون قوله : « قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا » معترضا بين المستثنى والمستثنى منه ، لتأكيد نفى الاستطاعة .

و(المعنى)

قل يامحمد لقومك فوق ما تقدم : إنى وأنا المرسل تبليغ أمر الله إليكم لن يجيرنى إن خالفت وأهملت ، وأذنبت وعصيت من الله أحد من البشر إن

أراد عقابى ، ولن ألقى ملاذا من الأجناس الأخرى ألتجىء إليه وآمن فيه من العقاب إن هربت من عقاب الله وسطوته

فالله سبحانه وتعالى يأمر نبيه فى الآية السابقة ، وفى هذه الآية أن ينبه قومه ومقاومى دعوته إلى أنه لم يرسل إليهم ، ليبدل ويغير ما قدر الله تعالى وقضاه فيهم من ضر ونفع ، وغى ورشد ، فإن ذلك ليس من مقدوره بل بيد الله سبحانه وتعالى — وهو ﷺ لم يزد عن كونه واحدا منهم أرسله الله إليهم ليبلغهم وصيته. ويدلهم على الطريق التى يرضاها لهم ، وبقدر ما يكون منهم من مخالفة أو إذعان يكون لهم من الضر أو النفع .

ثم أمره سبحانه وتعالى أن يقول لهم : إنى وأنا المرسل من عند ربى معرض للقهر والانتقام الالهي إن خالفت وعصيت ، أو قصرت فى هداية من أرسلت إليهم ، ولا أملك من أمر نفسى شيئا إذا أراد عقابى — يعنى فكيف بكم إذا عصيتم وخالفتم .

فالله سبحانه وتعالى نفى عنه أولا أن يكون مالكا لشىء من مصير الخلق وأمر ضرهم ونفعهم ، وغيهم ورشدهم ثم نفى عنه ثانيا كل طاقة وقدرة تحول بينه وبين إنفاذ المشيئة الالهية فيه ، لكنه سبحانه وتعالى عاد فأثبت له عملا واحدا ، ووظيفة واحدة يملكها بإذن الله، وهى تبليغ الوحى والرسالات

فمن سمع ووعى ما بلغ له وعمل بمضمونه كانت له الجنة خالدا فيها أبدا « ومن يعص الله ورسوله » فيعرض عن سماع البلاغ وتدبر الرسالات والانتفاع بها « فإن له نار جهنم » جزاء وفاقا لتكذيبه وإعراضه ومخالفته وسوء صنيعه «خالدا فيها أبدا» لابثين فيها إلى غير نهاية . اه

وفى الكلام قبل قوله (ومن يعص الله) مقدر أشرنا إليه بقولنا (فمن سمع مابلغ له وعمل بمضمونه) إلخ ثم عطفنا

عليه قوله تعالى (ومن يعص الله) إلخ — ومثل هـذا الحذف كثير فى آيات القرآن ومختلف أساليبـه ، ولو ذكر فيه كل ما حذف منه من هـذا القبيل ، لبلغ حجمه أضعاف ماهو عليه

ثم قال سبحانه وتعالى :

« حتى إذا رأوا ما يوعـــدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا » .

أى لا يزال هؤلاء الكفار يستضعفون ويستهزئون برسول الله ﷺ وبأصحابه حتى إذا رأوا ما يوعدون من قسوة العذاب تبين لهم أن المستضعف من هو أهم أم الرسول والمؤمنون .

وهذا العذاب الذى وعدوا به : قيل : فى الدنيا ، فإن مصيرهم فيها كان خزيا وخذلانا ، وهزيمة وهوانا . — وقيل فى الآخرة ، فإن مآبهم فيها سيكون إلى النار وبئس القرار

والظاهر أنه فى الآخرة بدليـل ما بعده .

ثم قال تعالى « قل إن أدرى أقريب ما توعدون ، أم يجعل له ربى أمدا »

بهذه الآية للرد على ما قاله المشركون عند سماعهم التهديد بالعذاب : فقد ورد أنهم قالوا إنـكارا واستهزاء : متى يكون ذلك العـذاب الموعود به ؟ — فقيل للرسول ﷺ قل لهم : إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدرى متى يكون ؟

والأحرى بسؤالهم وبهذا الجواب إرادة ما فى يوم القيامة المنـكرين له أشد الانـكار ، والخفى وقته عن الخلائق غاية الخفاء . ،

هذا وكلمة (إن) فى قوله « إن أدرى » نافيـة ، بمعنى ما ، والمراد (بالأمد) الزمان البعيد بقرينة المقابلة بالقريب .

ورجح بعضهم كون العذاب فى الدنيا ؛ بأن معنى القرب المأخوذ من قوله تعالى « أقريب ما توعدون » ينبىء عن مشارفة النهاية ، فـكأنه قيل لا أدرى أهو حال متوقع فى كل ساعة

أم هو مؤجل ضرب له غاية. والأول أقرب .

(والمعنى)

قل لهم يا محمد ما أدرى أقريب ماتوعدون من العذاب . فيكون واقعاً الآن ، أو قريب الوقوع من هذا الأوان ، بحيث يتوقع عن قرب — أم بعيد يجعل له ربى أمداً يتوقع دون ذلك الأمد، فهو فى كل حال متوقع.

فكونوا على غاية الحذر ، لأنه لا بد من وقوعه ، لا كلام فيه ، وإنما الكلام فى تعيين وقته ، وليس ذلك إلى اه حطيب .

ثم قال الله تعالى .

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا »

لما نفى عليه الصلاة والسلام فى الآية السابقة الدراية عن نفسه بقوله « قل إن أدرى » الخ توهم أن نفى الدراية عن نفسه نقص فى حقه عليه الصلاة والسلام ، فجىء بهذه الآية على سبيل الاستئناف ، لدفع توهم ذلك النقص فى شأنه عليه الصلاة والسلام مبينا فيها أن الحكمة الالهية اقتضت اختصاصه تعالى بعلم كل المغيبات ، وأنه تعالى لا يطلع على بعض الغيب إلا من ارتضاه من الرسل ، ليبلغه إلى خلقه ، ويظهره لعباده

(بيان المباحث)

المراد (بالغيب) كل غيب أى أنه تعالى عالم كل الغيوب على اختلاف أنواعها وأشكالها (والغيب) ماغاب عنا معشر البشر مما لاتهتدى إليه بشىء حواسنا ، أو بشىء من فراستنا وقياسنا واستنتاج عقولنا

وكل ماأمكننا علمه والوصول إليه بإحدى هذه الوسائل لا يسمى غيبا بالمعنى المراد فى الآية الكريمة

وكذا المراد بالغيب فى قوله تعالى (على غيبه) جميع غيبه

والفاء فى قوله تعالى : فلا يظهر

لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق .

والمراد بالإظهار المنفى ، الاطلاع الذى تنكشف به جلية الحال على أتم وجه . .

و«رصداً» جمع راصد بمعنى حارس

(والمعنى)

ما على بأس إذا قلت : ما أدرى قرب ذلك الموعد الذى يكون فيـــه عذابكم ولا بعده . فالله تعالى عالم كل غيب ، فلا يطلع على ذلك المختص به علمه أحداً من خلقه إطلاعاً كاملا .

وإنما يطلع جل وعلا إذا أطلع ، من شاء على بعض غيبه مما تقتضيه الحكمة التى هى مدار سائر أفعاله عزوجل

والذى تغيب عنى العلم به هو مما لم يطلعنى الله تعالى عليه ، لما أن الاطلاع عليه لا تقتضيه الحكمة التشريعية التى يدور عليها فلك الرسالة ، بل هو مخل بها

فقوله تعالى:« إلا من ارتضى من رسول » الخ . معناه : لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة برسالته : إما لكونه من مبادىء الرسالة ، بأن يكون معجزة وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف التى بيانها من وظائف الرسالة

ومعنى قوله تعالى : « فانه يسلك من بين يديه » الخ.

إن الرسول المرتضى يطلعه الله تعالى على مايريد من غيبه ، بأن يسلك ويبث من جميع جوانبه عند إطلاعه على الغيب حراساً من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته حتى لا تتخطفه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة قبل الرسول فتطردهم الملائكة حتى يكون الوحى سليما من تخليط الشياطين .

ثم قال تعالى :

« ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عدداً »

(البقية على صفحة٢٦)

كيفية استعمال الحروف

بقلم فضيلة الشيخ على محمد الضباع

شيخ عموم المقارىء المصرية

- ٩ -

(الحالة الثالثة) الإظهار وجوبا أى من غير إظهار غنة عنـد بقية الأحرف وهى ما عدا الباء والميم وهى ستة وعشرون حرفا . نحو : أنعمت وتمسون ولعلكم تتقون ومثلهم كمثل . ويسمى هذا الاظهار إظهارا شفوياً ويكون عند الواو والفاء أشد إظهاراً لئلا يتوهم أنها تخفى عندهما كما تخفى عندالباء وكما لا تخفى عنـدهما لا تدغم فى الواو وإن اتحدت معها فى المخرج فرقا بينها وبين النون المدغمة فيها وخشية اللبس فلا تعرف هل هى ميم أو نون وكذا لا تدغم فى الفاء لقـوة الميم وضعف الفاء ولا يدغم القوى فى الضعيف .

وينبغى أن يحترز القارىء فى حالة إظهارها من إحداث الحركة فيها أو السكت عليها

(تتمة) ولما كان الحرف المشدد فى الحقيقة حرفين أولهما ساكن وثانيهمـا متحرك ولذلك يقوم فى وزن الشعر مقام حرفين وجب على القارىء أن يبينه حيث وقع ويعطيه حقه لأنه إن فرط فى تشديده حذف حرفا من تلاوته ويتأكد الاعتناء ببيانه إذا لقى حرفا يماثله نحو : حق قدره والحق قل ومن اليم ما غشيهم «وقل اللهم مالك الملك» وظللنا عليهم فإن البيان فى ذلك آكد لزيادة الثقل باجتماع ثلاثة أمثال فينبغى أن يخلص بيانه من غير قطع الأول . فان كان الحرف مشدداً . نحو: ومن يتول الله وقل للذين فيكون أولى بالبيان لما فيه من اجتماع أربعة أمثال وقد يجتمع ثلاث مشددات متواليات . نحو وعلى أمم ممن معك ففيه ثلاثة أحرف مشددات

متواليات قائمة مقام ستة أحرف وقبل ميان خفيفان فى أمم فيجتمع فى لفظ ذلك إذا وصل ثمان ميات متواليات اجتمعت من أصل ومن إدغام فيجب على القارىء أن يتحفظ فى ذلك غاية التحفظ .

(تتمة ثانية) لبيان التفخيم والترقيق .

التفخيم فى الاصطلاح عبارة عن سمن يدخل على رسم الحرف أى صوته فيمتلىء الفم بصداه . والتفخيم والتسمين والتجسيم والتغليظ بمعنى واحد لكن المستعمل فى اللام التغليظ وفى الراء التفخيم . الترقيق عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلىء الفم بصداه .

ثم إن الحروف قسمان حروف استعلاء وحروف استفال .

أما حروف الاستعلاء فكلها مفخمة لا يستثنى شىء منها سواء كانت ساكنة أو متحركة جاورت مستفلا أو غيره وأعلاها فى التفخيم حروف الأطباق الأربعة لأن اللسان يعلو بها وينطبق بخلاف باقيها فإن اللسان يعلو بها ولا ينطبق .

وأما حروف الاستفال فكلها مرققة لا يجوز تفخيم شىء منها إلا الراء واللام فى بعض أحوالها وإلا الألف المدية فانها تابعة لما قبلها .

ثم إن حروف الاستعلاء تنقسم فى مقدار التفخيم إلى ثلاثة أقسام (أحدها) ما تمكن أى قوى فيه التفخيم وهو ما كان مفتوحا (وثانيها) ما كان دونه وهو ما كان مضموما « وثالثها » ما كان دون المضموم وهو المكسور وهذا قول الامام ابن الطحان الأندلسى وقال المحقق ابن الجزرى تنقسم حروف الاستعلاء خمسة أقسام ما كان مفتوحا وبعده ألف ثم ما كان مفتوحا من غير ألف . وهذان مندرجان تحت أول الثلاثة . ثم ما كان مضموما ثم ما كان ساكنا ثم ما كان مكسوراً . وهذا هو المعول عليه والمأخوذ به .

« فإن قيل » نحو غل والآخرة لا تفخيم فى حرفيهما « فالجواب » أنهما

مفخمان بالنسبة إلى حروف الاستفال فاذا علمت هــذه المراتب فنحـو القاف على خمسه أقسام .

« الأول » ما تمكن أى قوى فيه التفخيم وهو ما كان مفتوحا بعده ألف نحو قال وألقى .

« والثانى » ما كان دونه وهو ما كان مفتوحا بدون ألف نحو : لقــد وخلقـكم وسبقـكم .

« والثالث » ما كان دونه وهو المضموم نحو : يقولون وينطقون .

« والرابع » ما كان ساكنا وفيه تفصيل وهو أنه إن كان ما قبله مفتوحا فحكمه كحكم المفتوح الذى لم يـكن بعده ألف نحو يقتلون ويقطعون وإن كان ما قبله مضموما فتفخيمه كتفخيم المضموم نحو : أن تقبل ويرزقه وإن كان ما قبله مكسوراً فتفخيمه أدنى من تفخيم ما قبله مضموم نحو نذقه .

« والخامس » ما كان مكسوراً نحو : لا قبل لهم وإذا قيل لهم وبالله التوفيق

باب فى التعريف بحفص وذكر أسانيدنا بروايته

وهو حفص بن سليمان بن المغيرة . أبو عمر بن أبى داود الأسدى الكوفى الغاضرى البزاز . ولد سنة تسعين . وهو الذى أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة وكان ربيبه . قال الدانى : نزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ بها أيضا وقال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التى رويت عن قراءة عاصم : رواية أبى عمر حفص بن سليمان . وقال أبو هشام الرفاعى كان حفص أعلمهم بقراءة : عاصم. وقال الذهبى . أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها . وقال ابن المنادى قرأ على عاصم مراراً وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبى بكر بن عياش ويصفونه بضبط

الحروف التى قرأ على عاصم . وأقرأ الناس دهراً . وكانت القراءة التى أخذها عن عاصم ترفع إلى على رضى الله عنه .

وروى عنه القراءة عرضاً وسماعا : حسين بن محمد المروذى وحمزة بن القاسم الأحول وسليمان بن داود الزهرانى وحمدان ابن أبى عثمان الدقاق:والعباس الحداد وعمر ابن الصباح وعبيد بن الصباح وهبيرة ابن محمد التمار . وأبو شعيب القواس والفضل بن يحيى بن شاهى بن فراس الأنبارى . وحسين بن على الجعفى وأحمد بن جبير الأنطاكى . وسليمان الفقيمى .

وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثمانين ومائة على الصحيح وقيل بين الثمانين والتسعين

وقد اشتهرت روايته بالبلاد العراقية وما وراءها إلى أقصى الهند والصين وعليها إلى وقتنا عامة أكثر هذه البلاد .

واشتهرت بالأقاليم المصرية والشامية فى العصور الأخيرة وأصبحت العامة بها عليها من القرن الحادى عشر الهجرى إلى الآن .

وقرأ بها الإمام بن الجزرى من طريق التيسير على القاضى أبى العباس أحمد ابن الحسين بن سليمان بن فزارة الحنفى وهو على والده الحسين بن سليمان . وهو على أبى محمد القاسم بن أحمد بن الموفق اللوفى .وهو على الأئمة المقرئين:أبى العباس أحمد بن على بن يحيى بن عون الله الحصار . وأبى عبدالله محمد بن سعيد بن محمد الراوى : وأبى عبدالله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقى . وهم على أبى الحسن على بن محمد ابن هذيل البلنسى . وهو على أبى داود سليمان بن نجاح . وهو على الإمام أبى عمرو الدانى صاحب التيسير .

وقرأ بها من طريق الشاطبية على أبى محمد عبدالرحمن بن أحمد بن على بن البغدادى المصرى شيخ الأقراء بالديار المصرية . وهو على أبى عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالخالق المصرى المعروف بالصائغ شيخ الأقراء بالديار المصرية . وهو على أبى

الحسن على بن شجاع بن على موسى العباسى المصرى صهر الشاطبى شيخ الأقراء بالديار المصرية وهو على الإمام أبى القاسم الشاطبى صاحب الشاطبية .

وقرأتها من طريق التذكرة على أبى عبدالله محمد بن الصائغ المصرى وأبى محمد عبدالرحمن بن أحمد . وأبى بكر محمد بن أيدغدى المعروف بابن الجندى . وهم على أبى عبدالله الصائغ وهو على الكمال على بن شجاع . وهو على الإمامين . أبى الحسن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجى . وأبى الجود غياث بن فارس بن مكى المنذرى . وقرأ المدلجى على أبى العباس أحمد بن عبدالله بن أحمد بن هشام اللنجى . وهو على أبى جعفر أحمد بن محمد ابن حوشة القلعى . وهو على أبى على الحسن بن خلف ابن بليمة . وهو على أبى عبدالله محمد بن أحمد القزوينى . وقرأ أبو الجود على الشريف الخطيب ناصر بن الحسين الزيدى . وهو على أبى الحسين الخشاب . وعلى أبى الفتح بن بابشاذ وقرأ القزوينى وأبو الفتح على أبى الحسن طاهر بن عبد المنعم صاحب التذكرة .

وقرأ بها من طريق تلخيص العبارات على أبى المعالى محمد بن أحمد بن على الدمشقى المعروف بابن اللبان . وهو على محمد بن يوسف الأندلسى المعروف بأبى حيان . وهو على أبى محمد عبدالنصير بن على بن يحيى المربوطى . وهو على أبى القاسم عبدالرحمن بن عبدالمجيد بن اسماعيل الصفراوى . وهو على أبي القاسم عبدالرحمن بن خلف الله بن محمد بن عطيه المقرى . وهو على أبى على الحسن بن خلف بن عبدالله بن بليمة الهوارى مؤلف التلخيص . وقرأ بها من طريقه أيضا على أبى محمد عبدالوهاب بن محمد القروى . وهو على أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد القوصى . وهو على أبى الحسين يحيى بن أحمد بن عبدالعزيز بن الصواف . وهو على أبى القاسم الصفراوى بسنده المتقدم . وقرأ بها عبد الوهاب القروى أيضا على أبى عبدالله محمد بن عبدالنصير بن الشواء . وهو على أبى عبدالله محمد بن منصور المكين الأسمر . وهو على الصفراوى بسنده (يتبع)

ابن سينا

بقلم رئيس التحرير

هو الرئيس أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا الملقب بشرف الملك الفيلسوف الحكيم صاحب التصانيف المشهورة ، كان أبوه من أهل بلخ من العمال تزوج امرأة يقال لها سارة من قرية من قرى بخارى يقال لها أفشنة فولدت له الرئيس أبا على الذى تحتفل الدنيا بذكراه ولد سنة ٣٧٠ سبعين وثلثمائة فى شهر صفر بالقرية المتقدم ذكرها والطالع السرطان درجة شرف المشترى والقمر على درجة شرفه والشمس على درجة شرفها والزهرة على درجة شرفها وسهم السعادة فى تسع وعشرين من السرطان وسهم الغيب فى أول السرطان مع سهيل والشعرى اليمان.

هكذا ذكره ابن خلكان .

فلما بلغ عشر سنين أتم القرآن الكريم حفظاً وتعلم شيئاً من أصول الدين والأدب ، وتأمل أحياناً رسائل القضاء ، وتعلم الهندسة والجبر والمقابلة على السيد محمود البقال ، وتلقن مسائل الخلاف عن إسماعيل الزاهد وقرأ كتاب أيساغوجى وكتاب المجسطى وكتاب أقليدس على أبى عبدالله النائلى ثم اشتغل بتحصيل العلوم الطبيعية والآلهية والطبية حتى صار عديم المثل والقرين .

ثم اتصل بخدمة الأمير نوح بن منصور والسامانى وسأله الدخول إلى خزانة كتبه فأذن له فدخلها وظفر فيها بكتب فى علوم الأوائل من كتب أبى نصر الفرابى الذى ترجمنا له فى عدد سابق من أعداد هذه المجلة .

وتصرفت به الأمور والأحوال

وعلا قدره واشتهر أمره وتقلد بعض أعمال السلطان ولما اضطربت أمور الدولة السامانية دعته الضرورة إلى الخروج من بخارى إلى خوارزم وكان يلبس الطيلسان على زى الفقهاء وصار يتنقل فى البلاد فارتحل إلى همدان وتقلد وزارة شمس الدولة وكان قوى المزاج يغلب عليه شهوة الجماع فأثر ذلك فى مزاجه فاعتل وصار من الضعف بحال لا يقدر معها على القيام وكان يتجلد ويقول لا ينفع التدبير مع أوان التقدير ، ومما ينسب له أيضاً :

اجعل غذاءك كل يوم مرة
واحذر طعاما ما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فإنه
ماء الحياة يصب فى الأرحام

ولم تزل تعاوده العلة إلى حين وفاته فى يوم الجمعة الأول من شهر رمضان سنة ٤٢٨ ثمان وعشرين وأربعمائة ، ودفن بهمدان .

وللرئيس أبى على بن سينا شعر من أرق الشعر وأدقه فمن ذلك قصيدته الميمية المشهورة فى النفس قال رحمه الله :

هبطت إليك من المحل الأرفع
ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع
أنفت وما ألفت فلما واصلت
ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهوداً بالحمى
ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها
من ميم مركزها بذات الأجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت
بين المعالم والطلول الخضع
تبكى وقد ذكرت عهوداً بالحمى
بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى
ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق
والعلم يرفع قدر من لم يرفع

وتعود عالمة بكل خفية
في العالمين فخرقها لم يرقع
فهبوطها إن كان ضربة لازب
لتكون سامعة لما لم تسمع
فلأى شيء أهبطت من شاهق
سام إلى قعر الحضيض الأوضع
إن كان أهبطها الإله لحكمة
طويت عن الفطن اللبيب الأروع
أذعاقها الشرك الكثيف فردها
قفص عن الأوج الفسيح الاربع
فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

رئيس التحرير

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

« والمعنى »

« ليعلم » متعلق بقوله: « يسلك » والضمير في « يعلم » يعود عند الأكثر إلى الله تعالى: والمراد ليعلم الله علم ظهور للخلق. وجملة: « أحاط » معطوفة على محذوف تقديره: فعلم وأحاط الخ.

و « المعنى »

إن الله تعالى عند إظهار الرسول ﷺ على ما أراد من الغيب يبث ويجعل من جميع جوانبه حفظة من الملائكة تحرس الوحي من تخليط الشياطين حتى لا تتخطفه ، ليعلم جل وعلا علم ظهور وانكشاف للخلق أن رسله قد أبلغوا رسالات ربهم محروسة من الزيادة والنقصان ، فعلم ذلك وأحاط بما عند الرسل من الوحي والشرائع فلن يخفى عليه شيء منها ، وأحصى عدد كل شيء وعرفه فلم يخف عليه جل وعلا شيء منه .

وجملة : « وأحصى كل شيء عدداً » علة لما قبلها كأنه قيل : أحاط بما عند الرسل ، لأنه أحصى كل شيء من القطر والرمل ، وورق الأشجار وزبد البحار ، وغير ذلك فيما لم يزل وفيما لا يزال ، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه ؟ والله أعلم ؟

عبد الرحيم فرغلي البلايني
المدرس بكلية الشريعة

أدب الاستماع إلى آي الذكر الحكيم

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ على السيد جعفر ـ واعظ القاهرة

يقول مولانا عز شأنه فى كتابه المكنون : « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »

القرآن كتاب الله العليم الخبير ، أنزله لهداية البشرية من ضلالها وإرشاد العالم من حيرته وتوجيه الحياة فى خير سبيل إلى أشرف غاية ، جاء به رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام والناس أحوج ما يكونون إلى ردهم إلى الفطرة السليمة والشرعة القويمة فأقام به دولة الأخلاق على أمتن أساس وأبرز للوجود خير أمة أخرجت للناس ، وإنه وهو ملاك دين الإسلام ودستور مملكة الأنام لأجدر شىء أن ننتهز فرصته ونغتنم فوائده ونقتبس نوره وأنه فى ندائه لصوت أرحم الراحمين ورب الخلق أجمعين ينـاجى العقول والضمائر والأفهام والبصائر فى إنذار وتبشير لا غش فيها ولا تقرير ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة .

فياأهل الايمان وياأتباع القرآن إنه لا يسوغ لطوائف تعد من المسلمين أن يتلى عليهم كتاب الله المستعين وهم عنه متشاغلون فى غير حياء ، معرضون فى غير وجل ، لاهون فى غير تبصر ، وإنهم ليرون فى المقاهى والمجتمعات غارقين فى لجج من اللغط والصيحات يلعبون الأوراق والدمنو والطولة وما إليها من أدوات اللهو وقتل الأوقات فى ضجيج وصخب يصمان الآذان ويغالبان صوت القرآن وماذلك إلا شأن من حكى الله عنهم إذ يقول « لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

نعم : إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم

آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون .

خبرنى بربك أيها المسلم ، أمن اللباقة والأدب أن يناديك من الناس من له شأنه واحترامه فتعرض عنه فى غير اهتمام أو اعتذار ، وهل من المصلحة أن يرشدك طبيبك إلى ما فيه صحتك وشفاؤك فتهمله فى غير اكتراث واعتبار ، لطالما أصغيت ولبيت واعتدلت وحييت حتى أولئك الذين واجهتهم بالبشر والدعوات ، وشيعتهم بالسخط والوصمات ، فما بالك بمن خلقك فسواك وشرفك فناداك ، لقد أصغى إليه قبلك عقلاء الانس فخروا لربهم ساجدين .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ، واستمع إليه سعداء الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا ، إلا أنه لمن العار أن تنأى بجانبك عن أصل دينك وملاك أحكامه ويكون هذا مبلغك من تقديسه وحظك من احترامه ، فياأيها المسلم الفطن عليك أن تنفض يدك عند سماع القرآن مما يشغلك وتنحى جانباً ما عن الفرصة بعطلك ، وأن تفتح قلبك وتقبل بحواسك على صوت مولاك ، وهدى من بنعمه والاك ، من تفهم وإنصات ، ويقظة والتفات لتأخذ حظك من الموعظة ، ونصيبك من المنفعة فتصلح دينك ودنياك وعاجلتك وأخراك فى أوقات محدودة ودقائق معدودة على ما فى إنصاتك وحسن استماعك من راحة لقلبك ومتعة لروحك ورياضة لنفسك تزيح عن فؤادك هموم الحياة ومتاعب الأيام .

وإن الله لغنى عنك متفضل بنصحك وأنت فقير إليه فى غفلتك وفى صحوك ولكنها عناية الله بك ورحمته وجوده وحكمته ، ألا فهل من من سميع ، ألا فهل من مجيب « ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله

(البقية على صفحة ٣٣)

الدستور الالهى

القرآن العظيم هـو آية الله الـكبرى للخلق كافة . أنزله بلسان عربى مبين وهو ذلك الدستـور السماوى الخالد ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حـكيم حميد . وهو حبل الله المتين كما يقول رسول الله ﷺ . فأى جزء أخذنا منه بجد وقوة سرى سره إلى إلى القلوب ومشت تياراته وإشراقاته فى كيانها لجعلها تنموا به وتحيا وتقوى

وإذا صار القلب أمام القرآن قلبا لقلب ، أحس بالحياة والقـوة والنور . وشعر بالحنان والخشية تملا وجوده وتغمره « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقـلوبهم إلى ذكر الله » والقرآن الـكريم كلام الله وقد تفرد الله جل شأنه بـكل صفات الكمال والجلال ، ومن شأن كل كلام أن يدل على أسرار صاحبه وصفات ذاته ، فأولى بنا ثم أولى أن ندرس كتاب الله بإمعان وتدقيق حتى نتلمس أسراره فى كلامه سبحانه وتعالى ، ونطالع صفات كماله وجلاله فيه ، قال جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه « لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولـكنهم لا يبصرون » وإذا أردنا أن نشعر بتجليات الله فى كلامه فبكل خشوع وهيبة نستحصر ما لله من صفات الـكمال وعند ذلك إذا أقبل أحدنا على القرآن وفى قلبه شعور بهيبة هذه الصفات . وفى نفسه شوق لمطالعتها واستجلائها فان آيات القرآن شتنشف له باذن الله عنها .

فيجب علينا أن نقرأ القرآن بكل إمعان وروية نقرأه بأرواحنا وقلوبنا لا بألسنتنا وأفواهنا فقط ، نقرأه كأننا نسمعه من الله سبحانه وتعالى وهذا أمر بديهى نحن فى غفلة عنه . فالقرآن أنزله الله ليخاطبنا به وليوجه

إلينا . فيجب أن نصغى لهذا المتكلم العظيم ونحسن الاستماع إليه . « وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » والإنصات إلى خالقنا وسيدنا لا يكون بآذاننا فقط بل يكون بوعينا كله وبجوانحنا وجوارحنا وإن كانت هذه منزلة تقتضى مرانا وتدرجا فى مقاماتها الرفيعة ، فلقد قال بعض السلف رضى الله عنهم « كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ثم من الله على بمنزلة أسمى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به . وعندها وجدت لذة ونعيما لا صبر لى عنهما »

هذه هى المقامات العليا التى يصل إليها من صفت نفوسهم وانقشعت عنهم سحب الدنيا المظلمة بإمعانهم فى قراءة القرآن ، وقد روى عن بعض أهل البيت رضى الله عنه « إن حالة لحقته فى الصلاة فخر مغشيا عليه فلما سرى عنه سئل عن سبب ذلك فقال ما زلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها نفسه فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته سبحانه وتعالى »

وها هو مالك بن دينار رضى الله عنه وأرضاه يقول : ما زرع القرآن فى قلوبكم يا أهل القرآن ؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض هذا ما يصلك بروح القرآن يا قارىء القرآن فإذا ما اتصلت به على هذا القياس نمت الحياة فى نفسك واهتز قلبك وترعرع وأنبت من كل زوج بهيج ـ وإن فى القرآن لتبصرة وذكرى لكل عبد منيب .

وإلى اللقاء فى العدد القادم إن شاء الله

سيد غريب منصور
شيخ مقرأة السيدة زينب

ترجمة الامام ابن عامر الدمشقى

لفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم هانى ـ شيخ مقرأة السيدة نفيسة رضى الله عنها

ذكرنا فى أعداد سابقة تراجم لأئمة القراء الأعلام من السبعة وهم : نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو والآن نذكر ترجمة البدر الرابع وهو : عبدالله ابن عامر الدمشقى اليحصبى بدمشق الشام فنقول : هو الإمام عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر ابن عبد الله بن عمران اليحصبى بضم الصاد أو كسرها نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حمير بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان بن عابر وهو هود عليه السلام ، وقيل يحصب بن مالك بن أصبح بن إبرهة الصباح وفى يحصب الكسرة أو الضمة فإذا أثبت الكسر فيه جاز الفتح فى النسبة فعلى هذا يجوز فى اليحصبى الحركات الثلاث ، وقد اختلف فى كنيته كثيراً والأشهر أنه أبو عمران إمام أهل الشام فى القراءة والذى انتهت إليه مشيخة الإقراء بها قال الحافظ أبو عمرو : أخذ القراءة عرضاً عن أبى الدرداء ، وعن المغيرة ابن أبى شهاب صاحب عثمان بن عفان ، وقيل عرض على عثمان نفسه قلت : وقد ورد فى إسناده تسعة أقوال أصحها :

الأول : أنه قرأ على المغيرة .

الثانى : أنه قرأ على أبى الدرداء وهو غير بعيد فقد أثبته الحافظ أبو عمرو الدانى .

الثالث : أنه قرأ على فضالة ابن عبيد وهو جيد .

الرابع : أنه سمع قراءة عثمان وهو محتمل .

الخامس : أنه قرأ عليه بعض القرآن ويمكن .

السادس : أنه قرأ على واثلة بن الأسقع ولا يمتنع .

السابع : أنه قرأ على عثمان جميع القرآن وهو بعيد ولا يثبت .

الثامن : أنه قرأ على معاوية ولا يصح .

التاسع : أنه قرأ على معاذ وهو واه

وأما من قال أنه لايدرى على من قرأ فإن ذلك قول ساقط أقل من أن ينتدب للرد عليـــه ، وقد استبعد أبو عبدالله الحافظ قراءته على أبى الدرداء ولا أعلم لاستبعاده وجهاً لا سيما وقد قطع به غير واحد من الأئمة واعتمده دون غيره الحافظ أبو عمرو الدانى وناهيك به ، وأما طعن ابن جرير فيه فهو مما عد من سقطات ابن جرير حتى قال السخاوى : (قال لى شيخنا أبو القاسم الشاطبى : إياك وطعن الطبرى على بن عامر) .

وأما قول أبى طاهر بن أبى هاشم فى ذلك فلا يلتفت إليه وما نقل عن ابن مجاهد فى ذلك فغير صحيح بل قول ابن مجاهد وعلى قراءته أهل الشام والجزيرة أعظم دليل على قوتها وكيف يسوغ أن يتصور قراءة لا أصل لها ويجمع الناس وأهل العلم من الصدر الأول وإلى آخر وقت على قبولها ، وتلاوتها ، والصلاة بها ، وتلقينها مع شدة مؤاخذتهم فى اليسير ، ولا زال أهل الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة ، وصلاة ، وتلقينا إلى قريب الخمسمائة ، وأول من لقن بأبى عمرو فيما قيل ابن طاووس هذا .

وقد كان فى زمن عمر بن عبدالعزيز الذى ما تسامح له فى ضربه على عدم رفع يديه فى الصلاة وقال أبو على الأهوازى كان عبد الله بن عامر إماماً ، عالما ، ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، متقناً لما وعاه ، عارفا ، فهما ، قيما فيما جاء به ، صادقا فيما نقله من أفاضل المسلمين ، وخيار التابعين ، وأجلة الراوين لا يتهم فى دينه ، ولا يشك فى يقينه ، ولا يرتاب فى أمانته ، ولا يطعن عليه فى روايته . صحيح نقله ،

فصيح قوله ، عالياً فى قدره ، مصيباً فى أمره مشهوداً فى علمه ، مرجوعا إلى فهمه ، لم يتعد فيما ذهب إليه الأثر ولم يقل قولا يخالف فيه الخبر ، ولى القضاء بدمشق بعد بلال بن أبى الدرداء قلت : « إنما تولى القضاء بعد أبى إدريس الخولانى وكان إمام الجامع بدمشق وهو الذى كان ناظراً على عمارته حتى فرغ » .

قال يحيى بن الحارث وكان رئيس الجامع لا يرى فيه بدعة إلا غيرها قال أيوب عن يحيى بن الحارث ولد ابن عامر سنة إحدى وعشرين وقال خالد بن يزيد سمعت عبد الله بن عامر اليحصبى يقول ولدت سنة ثمان من الهجرة فى البلقا بضيعة يقال لها رحاب وقبض رسول الله ﷺ ولى سنتان وذلك قبل فتح دمشق ، وانقطعت إلى دمشق بعد فتحها ولى تسع سنين .

قلت (وهذا أصح من الذى قبله لثبوته عنه نفسه) وقد ثبت سماعه من جماعة من الصحابة منهم . معاوية ابن أبى سفيان ، والنعمان بن بشير ، وواثلة بن الأسقع ، ونضال بن عبيد روى القراءة عنه عرضاً يحيى بن الحارث الذمارى وهو الذى خلفه فى القيام بها وأخوه عبد الرحمن بن عامر ، وربيعة ابن يزيد ، وجعفر بن ربيعة ، وإسماعيل ابن عبد الله بن أبى المهاجر ، وسعيد ابن عبد العزيز ، وخلاد بن يزيد بن صبيح المرى ، ويزيد بن أبى مالك .

توفى بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة رضى الله عنه وسنذكر إن شاء الله فى الأعداد القادمة راوييه هشام وابن ذكوان .

(بقية المنشور على صفحة ٢٨)

يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون » يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

أسأل الله الذى منح سلامة الفكر ويسر القرآن للذكر أن يهدينا بأنوار آياته وأن لا يحرمنا من عظاته ورحماته إنه سميع مجيب .

علي السيد جعفر

رحلة الامام الشافعى

بقلم رئيس التحرير

(٢)

قال الشافعى رضى الله عنه ثم سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لى العبد أن سيدى أمرنى أن لا تسير إلى المنزل إلا راكبا قال الشافعى رضى الله عنه فقلت له قدم فقدم إلى بغلة بسرج محلى فلما علوت علي ظهرها رأيت نفسى بأطمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة إلى منزل محمد ابن الحسن فرأيت أبوابا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل على محمد بن الحسن وأنا فى بكائى فقال لا لا يروعك يا عبد الله ما رأيت فما هو ألا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبني الله فيها بفرض وأنى أخرج زكاتها فى كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو قال الشافعي رضى الله عنه فما بت حتى كسانى محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته فأخرج إلى الكتاب الأوسط تأليف الامام أبى حنيفة فنظرت فى أوله وفى آخره ثم ابتدأت الكتاب فى ليلتى أتحفظه فما أصبحت ألا وقد حفظته ومحمد ابن الحسن لا يعلم بشىء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب فى النوازل فأنا قاعد عن يمينه فى بعض الأيام إذا سئل عن مسئلة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت قد وهمت فى الجواب فى هذه المسألة والجواب عن قول

الرجل كذا وكذا وهذه المسألة تحتها المسألة الفلانية وفوقها المسألة الفلانية فى الكتاب الفلانى فأمر محمد ابن الحسن بالكتاب فأحضر فتصفحه ونظر فيه فوجد القول كما قلت فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج إلى كتابا بعد هذا قال الشافعى رضى الله عنه واستأذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى وبذل لى فى مشاطرة نعمته فقلت ما لذا قصدت وما لذا أردت ولا رغبتى ألا فى السفر قال فأمر غلامه أن يأتى بكل ما فى خزانته من بيضاء وحمراء فدفع إلى ما كان فيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقبلت أطوف العراق وأرض فارس وبلاد العجم وألقى الرجال حتى صرت بن إحدى وعشرين سنه ثم دخلت العراق فى خلافة هارون الرشيد فعند دخول الباب تعلق بى غلام فلاطفنى وقال لى ما اسمك قلت محمد قال بن من قلت ابن إدريس الشافعي فقال مطلبى فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان معه وخلي سبيلي فأويت إلى المسجد أفكر فى عاقبة مافعل حتى إذا ذهب من الليل الثلث كبس المسجد وأقبلوا يتأملون وجه كل رجل حتى أتوا إلى فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الغاية المطلوبة ثم أقبلوا على وقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت غير ممتنع فلما بصرت بأمير المؤمنين سلمت عليه سلاما بينا فاستحسن الألفاظ ورد على الجواب ثم قال تزعم أنك من بني هاشم فقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال ابن لى عن نسبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد ما تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة إلا فى رجل من ولد المطلب .

هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فيه وتنفذ فيه حكمك وحكمى علي ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واجتمعت عليه الأمة

فقلت يا أمير المؤمنين لو سألتنى أن أفتح باب القضاء بالغداة وأغلقه

بالعشى بنعمتك هذه ما فعلت ذلك أبدا فبكى الرشيد وقال تقبل من عرض الدنيا شيئا قلت يكون معجلا فأمر لى بألف دينار فما برحت من مقامى حتى قبضتها ثم سألني بعض الغلمان والحشم أن أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة أن كنت مسؤلا غير المقاسمة فيما أنعم الله به علي فخرج قسم كأقسامهم ثم عدت إلى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جماعة فأجاد القراءة ولحقه سهو ولم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعا وأعدنا ثم قلت له أحضر بياضا أعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله على فألفت له كتابا من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وأجماع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءا يعرف بكتاب الزعفران وهو الذى وضعته بالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت إليه بالسلام أمر قائد القبه أن يقف وأشار إلى بالكلام فسألته عن الامام مالك رضى الله عنه وعن الحجاز أجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مالك فقال لى أشرح لك أو أختصر قلت فى الاختصار البلاغة فقال فى صحة جسم وله ثلاثمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فلا يعود إليها إلى سنة فقد اختصرت لك خبره .

قال الشافعى رضى الله عنه فاشتهيت أن أراه فى حال غناه كما رأيته فى حال فقره فقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال أنك لتوحشنى خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فقلت له فبم تعيش قال بالجاه ثم نظر إلى وحكمنى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهاية وسرت على ديار ربيعه ومصر فأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكرت فضل الغسل وما

جاء فيه فقصدت الحمام فلما سكبت
الماء رأيت شعر رأس شعثا فدعوت
المزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل
من شعرى دخل قوم من أعيان البلد
فدعوه إلى خدمتهم فسارع إليهم وتركنى
فلما قضوا ما أرادوا منه عاد إلى فما
أردته وخرجت من الحمام فدفعت إليه
أكثر ما كان معى من الدنانير وقلت
له خذ هذه وإذا وقف بك غريب
لا تحقره فنظر إلى متعجبا فاجتمع
على باب الحمام خلق كثير فلما خرجت
عاقبني الناس فبينما أنا كذلك إذ
خرج بعض من كان فى الحمام من
الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع
خطابى لهم فانحدر عن البغلة بعد أن
استوى عليها وقال لى أنت الشافعى
فقلت نعم فمد الركاب مما يليني وقال
بحق الله اركب ومضى بى الغلام
مطرقا بين يدى حتى أتيت إلى منزل
الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله
فأظهر البشاشة ثم دعا بالغسل فغسل
علينا ثم حضرت المائدة فسمى وحبست
يدى فقال مالك يا عبد الله فقلت له
طعامك حرام على حتى أعرف من أين
هذه المعرفة فقال أنا ممن سمع منك
الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت
أستاذى .

(يتبع) التحرير

من نبذ الجاحظ

لا يزال المرء مستوراً وفى مندوحة ما لم يتظاهر بشيء . . فإذا تظاهر بأية صنعة فقد استهدف . كان صنف كتابا أو أنشأ قصيدة ثم عرض على سهام الأفهام .

فمن أحسن صنعه فقد استعطف .

ومن أساء فقد استقذف . ثم لا بد لكل إنسان ، على كل اتيان ، من مادح أو قادح وتلك سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

الاسلام والعلم

بقلم رئيس التحرير

- ٢ -

وتؤخذ كيفية بدء تكوين الأرض أيضا من قول الله تعالى :

« إذا الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سيرت وإذا العشار عطلت . وإذا الوحوش حشرت . وإذا البحار سجرت » .

ومعنى قوله وإذا البحار سجرت أى التهبت واشتعلت من شدة الحرارة والغليان . فان قيل أن هذا يوم القيامة يوم يفنى الله الدنيا . فنقول قال الله تعالى « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين »

ويؤخذ من هذا أن البدأ والنهاية على نمط واحد هو مالا يحتاج إلى تأويل وبعد أن جمدت قشرة الأرض وخبت حرارتها وصارت صالحة لظهور الحياة فيها بدأ الله بخلق النبات والحيوان ومهدها لسكنى خليقته التى خلقت فيها بعد ودلنا على ذلك بقوله

« والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها » وقال « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون . وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين . وإن من شىء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » وقال « وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه » وقال « وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا

عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

ثم تكلم عن ظهور الحياة على الأرض ووصف الحيوانات الأولى من اللافقارية ثم الفقارية والزاحفات والطيور وغيرها فقال .

« والله خلق كل دابة من ماء ماء ، اتفاق مع العلم الذى يقول أن الحياة أول ما ظهرت فى الماء ، ومن الماء انتشرت على الأرض ثم أشاره إلى الأميبة أو الخلية الأولى وذلك فى قوله أيضا .

« وجعلنا من الماء كل شيء حي»

ثم تكلم القرآن عن التكوين الجنيني فقال :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » .

ومعلوم أن الميكرسكوب حين نزول الآية لم يكن قد اخترع بعد ولم يكتف القرآن بذلك بل تكلم عن تطور الانسان من بدء تكونه جنينا إلى أن يولد فيبلغ أشده فيكون رجلا ، فيكبر ويقوى ، ثم يشيخ ويضعف إلى أن يموت فقال .

يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرزل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا »

وقال « الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير » .

ومن قول الله سبحانه وتعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين .

أفضل وأوضح تحليـــل علمى لمسألة نشوء الجنين وتطوره فى الرحم . تلك المسألة التى تضاربت فيها آراء العلماء وكتبوا فيها العدد العـــديد من المجلدات وهى كما ترى فى ترتيب القرآن تتفق تمام الاتفاق مع وصف العلم الحديث لها وإليك ما قال العلم فى ذلك :

إن الجنين يتـكون فى الرحـم وينمو فيه حتى يتم تـكونه . والرحم موضوع فى التجويف الحوضى بين المثانة والمستقيم . شكله كمثرى مسطح من الأمام إلى الخلف وطرفه العلوى عريض وهو القاع وطرفه السفلى ضيق وهو العنق ويتصل به المبيض برباط خاص يقال له الرباط الرحمى المبيضى الذى يتصل بـكيس فيه حويصلات عديدة يقال لها حويصلات (غراف) والحويصلة قبل العلوق عبـارة عن غلاف غشائى مشغول بسائل زلالى تسبح فيه حويصلة صغيرة اسمهـــا الحويصلة الجرثومية مؤلفة من غشاء شفاف يتضمن سائلا صافيا وفيه البقمة الجرثومية . ومن هذه البقمة الجرثومية تبدأ حياة الجنـين . والحويصـلة أو البويضة لا تخرج من المبيض إلا فى زمن الحيض وتنتقل إلى الرحم بواسطة بوق (فلوبيوس) وفيه تتلقح . فاذا حصل العـلوق استقرت البـويضة فى الغشاء المخاطى المبطن للرحم وهناك يبدأ تـكون الجنين .ولا ينزل الدم حينئذ لأنه يتحـول إلى غـذاء له . وأول تغيير يحصل فى التـكوين الجنينى أن البقمة الجرثومية تستطيل ثم تصير كمثرية الشـكل ويظهر فى مركزها بقمة تسمى البقمة الصافية يبدو فيهـا ميزاب قليل الغور يقال له الميزاب الأصلى وهو أول ما يظهر من الجنين وهذا الذى عبر عنه القرآن بالعلقه ، لأن البويضة فى هـذه الحالة تتمـدد وتنقسم إلى خلايا حتى تصير كالعلقة فاذا تمت هذه العلقه أخذت تتنوع خلاياها وتتميز أجزاؤها حتى تصير فى آخر الشهر الأول مثـل بيضـة

الحامة فتصير مضغة لحمية لأنها تكون بقدر ما يمضغ فى الفم ، ويكون بعضها مخلق و بعضها غير مخلق ، كما وصف الله سبحانه وتعالى ذلك فى القرآن تماما حيث يقول :

« فانا حلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقه » .

وفى قوله إنا خلقناكم من تراب فى أول الترتيب إشارة الى الخلق الأول أو إلى كون النطفة التى هى سبب التلقيح من الغذاء الذى أصله من تراب .

ثم يأخذ الجنين فى التكون بعد ذلك حتى تصير جميع أعضائه متميزة ظاهرة ويكون جلده رقيقا شفافا وتبدو أظافره على هيئة صفائح رقيقة ! وبعد ذلك يتضاعف وزنه ويبدو شعره ويتكون فمه وأنفه حتى الشهر الخامس فيأخذ فى الحركة وفى الشهر السادس تتميز فيه الأدمة والبشرة وتكون عيناه مقفلتين . وتجمد أظافره وتتكون خصيتاه فى تجويف بطنه أو تظهر فيه أعضاء الأنوثة إن كان أنثى . وفى الشهر السابع يتم خلقه وتبدو عظام جمجمته وكل أعضائه تكتسب صلابة ونموا ويتم شعره ويفتح عينيه إلى أن يصير فى الشهر التاسع فيتكامل نموه ويخرج إلى عالم الوجود .

وذلك معنى قوله تعالى .

«ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر » .

أى إنسانا سويا كاملا فى أحسن تكوين ذا عقل وإدراك وتمييز وسمع وبصر « فتبارك الله أحسن الخالقين»

وقد علمنا مما تقدم فى وصف العلم لتقديم الجنين ـ أن الانسان مخلوق من البويضة الملقحة بنطفة الرجل وبالسائل السابحة فيه بويضات المرأة المنفصله من حويصلات (غراف) ومن البوق ، وهذا أيضا يسمى نطفة . والنطفة كل ماء قل أو كثر وهذا معنى قول الله تعالى

« إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج » .

والأمشاج الخليط . والمراد به اختلاط النطفتين :

وانظر إلى قول الله تعالى « الذى خلق . خلق الإنسان من علــق » كيف اتفق مع العلم القائل بأن سبب الحمل وجود حيوانات فى ماء الرجل تسمى حيوانات التلقيح ، لو نظرنا فيها بالميكرسكوب لرأيناها أشكالا متنوعه وكلها فى شكلها مثل العلق . وهذا غير قوله ثم من نطفة ثم من علقة كما لا يخفى .

ثم انظر إلى قوله تعالى :

« يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » واعلم أن المراد بالظلمات الثلاث .

(١) ظلمة المبيض الذى تتكون فيه البويضة داخل حويصلة غراف

(٢) وظلمة البوق حيث تتلقح البويضه بالحيوانات المنوية .

(٣) وظلمة الرحم الذى يتم فيه تخليق الجنين .

ثم أراد الله أن يعرفنا أن عملية التلقيح وعملية تكوين الجنين هى فى سائر الحيوان والنبات كما فى الانسان تقريبا ، فبين ذلك بقوله :

« سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » .

وفى قوله تعالى (ومما لا يعلمون) إشارة إلى خلق الميكروبات وتكاثرها لأنها تتكون بطريقة لا ترى وهى تتوالد وتتناسل وتتكاثر أيضا وأيد ذلك بقوله :

« ومن كل شىء خلقنا زوجين » سواء فى الانسان والدواب والنبات (لعلكم تذكرون) أى لعلكم تتفكرون وتعتبرون .

ثم أفرد النباتات بالذكر ليعلمنا وجود ذكر وأنثى فى كل زهرة ونورة من زهورها ونورها لاثمارها فقال :

« ومن كل الثمرات جعل فيها

زوجين اثنين » « وأنبتت من كل زوج بهيج » « وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى »

وعلما أن أعضاء التذكير في النبات تلقح أعضاء التأنيث بواسطة الرياح من قول الله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) كما أثبته العلم .

وقرر العلم أن العناصر الداخلة في تركيب النبات كلها واحدة وإنما تتفاوت أنواعه بنسبة تفاوت تركيب بعض هذه العناصر عن بعض في خلايا تلك الأنواع .

وقدسبق القرآن العلم في ذلك فقال «وأنبتنا فيها من كل شيء موزون» وقال « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم » .

وفي مجموع الآيتين إشارة أيضا إلى الثقل النوعي للاجسام .

وقد علمنا العلم أن كل عنصر لا يأتلف مع غيره كميائيا إلا على نسبة مقدرة بمقدار محدود ويسمى ذلك قانون النسبية الجوهرية أو الكم الذرى ويقول القرآن في ذلك :

« وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » .

والغيب هنا ماغاب عن الحس كالعالم الطاقى الذرى والشهادة ما بدا للنظر من الجزئيات والأجزاء للجواهر المادية .

ويقول العلم بتطور الأحياء عموما ويقول القرآن :

« ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً » وقال كل يوم هو في شأن » .

وفيه إشارة إلى الإنتخاب والتطور وتكلم القرآن عن التنازع الحاصل بين الناس في الحياة فقال :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » وقال « وتلك الأيام نداولها بين الناس » .

التحرير

« يتبع »

من توجيهات القرآن

فى تربية الخلق

ا — وان تعفو أقرب للتقوى

ب — فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى — المفتش بالأزهر الشريف

ا — هنا : دعوة إلى العفو عن المساءة ، والعفو من صفات الرحمن عز شأنه ، وما يبلغ طرفاً من صفات الله إلا من سلمت إنسانيته من ضراوة الوحشية ، وتسامت به نزعات الخير حتى تهيء له أن يتخلق بأخلاق الرحمن ، ويرقى إلى شىء من أسباب ذلك الكمال المطلق.

ومعذرة إلى القارىء إذا استطردت معه قليلا ، لأبين أن القرآن الكريم حينما يهتف بالانسان إلى ناحية من من نواحى الكمال ، تراه يخاطب فيه مرة إنسانية واعية ، ويعتمد فيه على عقلية تفقه ، فيترفق فى خطابه ، إذ يكون الرفق أشبه بمقام الانسان ، وبه يكون الخطاب أوقع فى السمع ، وأسلس فى القياد ، وأيقظ لغريزة الاعتداد بالنفس.

ولك شاهد على هـذا أن تقرأ — مثلا — قوله تعالى : « فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما » « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » « قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم » « ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره » .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ونحوها يجيش فى نفسك الأمل أن لك عند الله كرامة ، ويهزك الطرب أنك على مقربة من مرضاته ، وتنزع بك الرغبة إلى

الاستزادة من وسائل الزلفى إليه ، أو ليس يحفزك على الاقدام نحو الكمال أن شملك بالخطاب فى قوله ياعبادى ، وأن أكد لك الوعد أنك لا تصادف عنده ظلماً ولا هضما ؟ وأنك إذا ركنت إلى جانبه ولم تقنط من رحمته فستغفر لك الذنوب جميعاً ؟ .

تحس بكل ذلك حينما ترى القرآن يناجيك من ناحية إنسانيتك ، ويفترض فيك الصلاحية للخير ، ويفتح أمامك منافذ الأمل ، ويوحى إليك إذ أنزلك هذه المنزلة ، أنك فوق ما عداك من كائنات أخرى .

غير أنك ترى القرآن فى سياق آخر حينما يتجه إلينا بالبيان ، يلحظ فى الانسان غرائز جامحة ، ونوازع شاذة ، فيصدف عن الترفق ، ويشتد فى القول ، إذ يكون الانسان فى هذا الوضع ليس ذلك المخلوق الكريم الذى تترضاه باللين ، وإنما هو العاجز المتعالى ، والحقير المتكبر ، والضعيف المتجبر ، وحينئذ تكون الصرامة أجدي فى إصلاحه ، وأنجع فى تقويمه ، وأوفق لجوحه ، فإن لم تصلح من شأنه ففيها تصوير لهوانه ، ونزول به إلى مهبط وضيع ، ورجوع به إلى مكانة ذليلة تباين ماافترض لنفسه ، وتصدره عن غلوائه ، وتكشف له عن إمعانه فى الباطل .

وشاهدك على هذا أيضاً أن تقرأ ـ مثلا ـ قوله تعالى : « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » « ألم أعهد إليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين » « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين » « إن ربك لبالمرصاد » « ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » « وإن للطاغين لشر مئاب » إلخ .

فأنت إذ تقرأ هذه الآيات ونحوها مما فيه تبكيت للإنسان ، وغض من كبريائه ، وتنديد بضعفه ، وإبراز لما خفى عليه من شأنه ، وقبح ما تخير لنفسه ، حين تقرأ ذلك لا تحس بشىء

مما استثمرته فى الآيات الأولى ، فهناك مثله هدى ، ونصح فى رفق وتكريم : وهنا مثله لوم وتعنيف ، يسمع المرء فيه تهديداً يذيب الحشا ، ويحس أن سيكون فى ردهة الحكم أمام قاض جبار ، ولن يكون فى ساحة للعفو بين يدى غفور رحيم .

ذلك استطراد أجملته بين يديك لأريك به أن القرآن الكريم ، يقف من الانسان موقف التكريم فى الخطاب مرة حينما يقدر له إنسانيته ؛ وموقف الزراية به مرة أخرى حينما يهمل ذلك الجانب ، ويقصد إلى ما فى الانسان من جموح .

ومن القبيل الأول صنيع القرآن فى توجيهنا إلى التجمل بخلق العفو ، فهو يترفق فى الطلب ، ويبين فى إيجاز يسير أن العفو « أقرب للتقوى » تاركا لمداركنا أن تميز الخبيث من الطيب ، ومعتمداً على عقولنا أن تفقه وتستجيب .

على أنه فيما ساق من آيات أخرى ، ركز فى عقولنا أن العفو خلق يرجح كثيراً سواه من أخلاق الفضيلة ؛ فهو وسيلة هامة فى الحفاظ على حسن العلائق ، وحسم الشر ، وصيانة الجماعة من عوادى الخلق الذى تشيع من ورائه ظنون السوء ، وينحدر فى ظلماتها الشيطان يعمل عمله فى إفساد القلوب ، وتفريق الجماعات ..

وكأن القرآن — فيما أحسب — إذ يعتبر للعفو هذا الشأن . يراعى إلى جانب ذلك — فى تقديره للإنسان — أن العفو محتاج إليه حينما يهتاج النفس عدوان يمسها ، أو تحيف يصيبها ، فيكون المرء مدفوعا بالغريزة إلى المقاومة ، ومن حقه ذلك فليكن طلب العفو منه ، والتغاضى عما ألم به ، طلباً هيناً ، لا يشعره باغتصاب حقه ، وكبت إرادته ، والانحياز به إلى الخنوع .

ولينبه فى تلطف إلى أن العفو أقرب للتقوى ؛ إذ فيه عزوف عن الشقاق ، وكف للغضب ، ومجانبة لما يخشى من الإفراط فى الجزاء فتتسع

المهوة وينطلع الشر ؛ إذ لا يملك نفسه عند ثورتها ، ويطامن من شموخها إلا من نهضت مداركه ، فاعتدل فيه الرأى ، واستقام له التقدير ، واطمأن إلى أن العفو جانب من الرفق، وما كان الرفق فى شىء إلا زانه كما علمنا الرسول عليه السلام . . وقليل من يفطن إلى ذلك ، والمتتبع لآى الكتاب فى صدد العفو يجدها على هذا النحو سلاسة ، ومرونة وترغيباً ، لا تشعرك بضغط ، ولا تنم عن إكراه ، وهى لذلك فى سياق الفرض أدخل إلى النفس ، وأملك للفؤاد .

وإليك ذكر العفو فيما ذكر الله من أسباب مغفرته ، ووسائل رضوانه ، « فمن عفا وأصلح فأجره على الله » « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور » « وليعفوا ، وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم » وكذلك أمر نبيه فى غير موضع بالعفو حتى مع ألد أعدائه « فاصفح الصفح الجميل » « فاعف عنهم واصفح » « خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين »

وجملة القول فيما وصلنا إليه : أن العفو من صفات الله ، ومن شمائل الرسول ومن خصال الأخيار ، وأن فى الدعوة إليه على هذا النحو كثرة الشواهد ، ولطف التعبير توجيهاً إليه ، وإلى اختيار الأساوب فى الدعوة إلى كل غرض كريم ، حتى تكون الوسيلة ملائمة للغاية ، وبذلك تظل التعاليم الصالحة فى نمط الدعوة إليها كمعدن نفيس فى حرز كريم ، لك دائما من حرزة رواء المنظر، وفيه صدق المخبر ، وصدق الله فيما رسم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » .

ب — ومع ما أسلفنا من القول فى شأن العفو ديناً ، ودنيا فلدينا الآية الثانية تأمر بالانتقام . « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم » فكيف يلتقى هذا مع ذاك ؟

الأصل ألا تهدر الحقوق ، وأن تكون العدالة ماثلة بين الناس ، بادية

فى كل شأن عظيم أو هان ، وسبيل ذلك أن يلقى المسىء جزاءه وأن يدرأ الشر بالشر حتى يستقر الأمر فى مجراه ، ويستقيم العدل فى نصابه ، وعلى ذلك يكون الاقتصاص مشروعا ، واستيفاؤه حقاً وأن كان فى غير خطير .

ولكن بين الناس وشائج تدعو إلى التعاطف ، وتقضى بالتراحم ، وتأبى المشاقة والتنازع ، وبين الناس إعتبارات معيشية أحوج ما تكون إلى التسامح ؛ فالأمر بحاجة إلى المسالمة ، ومجانبة الغلظة والجفاء .

فكان من تمام النعمة أن يكون للتراحم بين الناس إلى جانب العدل شأن فى تدبير الله ، وكان من مظاهر الحكمة أن تكون الرحمة أوفر حظاً فى تقدير الله ، وكان فى تقديم العفو على المجازاة ، وترجيح الرحمة على العدل أخذ بسنة الله فيما اختار لنفسه مع خلقه ، وفيما رضى لنفسه من صفات الكمال .

فنحن إذ نرى أنفسنا فى حل من مجازاة المسىء بما فعل ، ونرى ذلك عدلا تتقرر به الحقوق ، وتصان به الكرامات ، نرى دواعى أخرى إلى العفو، لكبح الضغينة ، وتركيز المحبة ، وتأصيل المودة .

ولعل من وراء ذلك ظفراً بما كان يرجى من العدل والجزاء ، مع البعد عما قد يتركه العدل من وحشة وغضاضة ؛ لقيامه على غير المجاملة ، ولتعرضه أحياناً للمبالغة فى التنكيل وتجاوز الحد المشروع .

وأنت إذا تمعنت آيتنا هذه تبينت فيها تحديداً دقيقاً لتشريع المجازاة مما يوحى إليك ، كأن العفو أصل والجزاء استثناء . فهى ـ أولا ـ مبدوءة بقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » وهذا قيد سبق أول الكلام للتنبيه على أن المجازاة على العدوان لا تكون إلى بعد حصوله فعلا ، أو بعد الشروع الذى يؤذن حتما بوقوعه على ما هو مبين فى الفقه ، وهى ـ ثانياً ـ تسمى الجزاء اعتداء

« فاعتدوا عليه » لا لمجرد المشاكلة اللفظية كما يقال ؛ بل لأن الاساءة فى حقيقتها عدوان ، وإنما اغتفرت فى مقام الجزاء ، وهذه إباحة عارضة لاتغير من حقيقتها أو اسمها . فالخمر خمر وإن صلحت دواء فى حال من الأحوال .

وهى - ثالثاً - تفيد إباحة الجزاء بأن يكون مثل العدوان لا أزيد منه .

وهى - رابعاً - مقرونة بالأمر بالتقوى «واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين» تحذيراً من المبالغة فى الجزاء فلا يكون علاجا للشر ، وإنما يكون استرسالا فى الشر .

وكذلك ترى كل آية تؤذن بالقصاص محفوفة بقيود تضيق من دائرته وتحذر من الاسراف فيه ، بل وتصرف عن الأخذ به ، اقرأ مثلا قوله تعالى : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين » .

وقوله تعالى : « ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ، ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور » .

وقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » ففى كل واحدة منها ترغيب عن المجازاة ، غير ما رأيت فى كل آية من آيات العفو : من الترغيب فيه والثناء عليه . وإلى جانب هذه التوجيهات ترى آيات القصاص لا تبلغ من الكثرة فى القرآن ما بلغته آيات العفو ، ولا ترى فيها إلزاما بالقصاص كما ترى فى بعض آيات العفو ، بل جاءت هذه فى أسلوب البيان فحسب ، ولذلك اتسع سياقها لأن يذكر معها الصبر ، أو العفو أو التقوى وما إلى هذا .

ورب قائل : أيكون العفو فى كل شىء مجديا ، وفى كل حال مطلوبا ، وتكون الدعوة إليه مطردة ؟

والجواب أن كلا الأمرين - العفو ، والقصاص - منوط بأغراض تعلقت به ، وغايات قصدت منه ، فليس العفو مستحسناً مع من يستمرئه ويكرر عدوانه ، بل ذلك من وضع الندى فى

موضع السيف ، وهو مضر بالملا كما قال الشاعر .

وليس من متعلقات العفو ما يعتبر من الأمور العامة ، مما له اتصال بحياة الناس ، ونظام المجتمع ، كالسرقات وانتهاك الحرمات والأعراض ، وقطع الطرقات ، ونحو ذلك مما له خطر على الأمن العام ، أو سياسة الحكم ؛ فإنها أمور لاتستقيم على الموادة والتسامح ، بل يعوزها الصرامة والأخذ بالعنف لترجع النفوس الجامحة عن غيها .

ولذلك ترى القرآن يشتد فى الأمر بقطع السارق ، والسارقة « جزاء بما كسبا نكالا من الله » ويشتد فى جلد الزانية والزانى « ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله . . الآية » كما تراه يقسو على قطاع الطريق ، وكما تراه يشتد فى تهديد الشاهد إذا زور ، والحاكم إذا جار ، والقاضى إذا انحرف : كل ذلك مما يأبى التسامح لئلا تختل نظم الحياة ، وليظل الأمن موفوراً ، ولتنعم الناس فى دنياهم ، وليرى الله آثار نعمته عليهم فيما يحسنون من عمل ، وفيما يشكرون لله من نعمائه .

لطيفة

قصد أعرابى أمير المؤمنين المأمون فلما مثل بين يديه قال له قد قلت فيك شعراً قال أنشده فقال :

حياك رب العرش حياك إذ بجمال الوجه وفاقا
بغداد من نورك قد أشرقت وأورق المجد بجد واكا

فقال له المأمون وأنا قلت فيك :

حياك رب العرش حياك إن الذى أملت أخطاكا
أتيت شخصا قد خلا كيسه ولو حوى شيئا لأعطاكا

فقال الاعرابى يا أمير المؤمنين :

إن بيع الشعر بالشعر ربا سألتك بالله أن تجعل بينهما شيئا

فضحك المأمون وأمر له بصلة .

غريب سورة البقرة ومشكلها

— ٢ —

قال أبو محمد فى المشكل اختلف المفسرون فى الحروف المقطعة التى فى أوائل السور، فكان بعضهم يجعلها أسماء للسورة تعرف كل سورة بما افتتحت به منها وبعضهم يجعلها أقساماً، وكان بعضهم يجعلها حروفاً مأخوذة من صفات الله جل وعز يجتمع بها فى المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن عباس رضى الله عنه فى كهيعص أن الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق، ولكل مذهب من هذه المذاهب وجه حسن، وأرجو أن لا يكون ما أريد بالحروف خارجاً منها إن شاء الله، فإن كانت أسماء للسور فهى أعلام تدل على ماتدل عليه الأسماء من أعيان الأشياء وتفرق بينها فإذا قال القائل قرأت آلمص أو صٓ أو نٓ دل على ما قرأ بذلك، كما تقول لقيت محمداً وكلمت عبد الله، فقد دل بالاسمين على العينين، وإن كان قد يقع بعضها مثل حٰمٓ وآلم لعدة سور، فإن الفصل قد يقع بأن حٰمٓ السجدة وآلم البقرة، كما يقع الوفاق فى الأسماء، فتدل بالإضافات وأسماء الآباء والكنى؛ وإن كانت أقساماً فيجوز أن يكون الله سبحانه أقسم بالحروف المقطعة كلها واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها فقال آلم، وهو يريد جميع الحروف المقطعة، كما يقول القائل اب ت ث، وهو لا يريد تعلم هذه الأربعة الأحرف دون غيرها من الثمانية والعشرين، ولكنه لما طال أن يذكرها كلها اكتفى بذكر بعضها، ولو قال تعلمت ح ط ص لدل أيضاً على حروف المعجم كما دل بالقول الأول إلا أن الناس

يدلون بأوائل الأشياء عليها فيقولون قرأت الحمد لله ، يريدون فاتحة الكتاب فيسمونها بأول حرف منها هذا الأكثر وربما دلوا بغير الأول أيضاً ، وأنشد أيضاً :

لما رأيت أن هاجى حطى
أخذت منها بقرون شمط

يريد فى أبى جاد فدل بحطى كما دل غيره بأبى جاد ، قال وإنما أقسم الله بحروف المعجم لشرفها وفضلها ولأنها مبادىء كتبه المنزلة بالألسنة المختلفة ومبانى أسمائه الحسنى وصفاته العلى ، وأصول كلام الأمم بها يتعارفون ويذكرون الله عز وجل ويوحدون ، وقد أقسم فى كتابه العزيز بالفجر وبالطور وبالعصر وبالتين والزيتون ، وهما جبلان ينبتان التين والزيتون ، يقال لأحدهما طور زيتا وللآخر طور تيناً بالسريانية من الأرض المقدسة فسماهما بما ينبتان ، وأقسم بالقلم اعظاما لما يسطرون ووقع القسم بها فى أكثر السور على القرآن فقال آلم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، كأنه قال وحروف المعجم لهو الكتاب لا ريب فيه ، وآلم الله أى وحروف المعجم لهو الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، وآلمص كتاب أنزل إليك ، أى وحروف المعجم لهو كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه ، ويس والقرآن الحكيم ، وص والقرآن ذى الذكر ، وق والقرآن المجيد كله اقسام وإن كانت حروفاً مأخوذة من صفات الله عز وجل ، فهذا فن من اختصار العرب ، وقل ما تفعل العرب شيئاً فى الكلام المتصل الكثير إلا فعلت مثله فى الحرف الواحد المنقطع فكما يستعيرون الكلمة فيضعونها مكان الكلمة لتقارب ما بينهما أو لأن احداهما سبب للأخرى

فيقولون للمطر سماء لأنه من السماء ينزل ، ويقولون للنبات ندى لأنه بالندى ينبت ، وكذلك يستعبرون فى الكلمة الحرف مكان الحرف فيقولون

مدهته بمعنى مدحته ، لأن الهاء والحاء يخرجان من مخرج واحد ، ويقولون هرقت الماء وأرقته

وكما يقلبون الكلام ويقدمون ما سبيله أن يؤخر ويؤخرون ما سبيله أن يقدم فيقولون : كان الزناء فريضة الرجم ، أى الرجم فريضة الزناء، وكما يقولون : كأن لون أرضه سماؤه ، يريدون كأن لون سمائه من غبرتها لون أرضه ، ويقولون أعرض الناقة على الحوض ، يريدون أعرض الحوض على الناقة ، وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسبيله التأخير ، ويؤخرون أخر وسبيله التقديم ، فيقولون جبذ وجذب ، وكما يحذفون من الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا ، فيقولون والله أفعل كذا يريدون لا أفعل ذلك ، ويقولون أتانا فلان عند مغيب الشمس أو حين أى حين كادت تغيب قال ذى الرمه

فلما لبس الليل أو حين نصبت
له من حذا أذانها وهو جانح

أراد أو حين أقبل ، وقال الله عز وجل : ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أراد لكان هذا القرآن ، فحذف ولم نزل نسمع على ألسنة الناس الالف الاء الله ، والباء بهاء الله ، والجيم جمال الله ، والميم مجد الله ، فكأننا إذا قلنا حم دللنا بالحاء على حليم ، ودللنا بالميم على مجيد ، وهذا تمثيل أردت أن أريك به الامكان وعلى سائر الحروف

يتبع رئيس التحرير

جزاء مانع الزكاة

قال الله تعالى فى بيان ذلك :

«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون»

الاسراء والمعراج

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمد السباعى عامر المدرس بمعهد القراءات بالأزهر

من أهم المعجزات وأدلها على تعظيم النبي ﷺ وإكرامه بعد القرآن معجزة الإسراء والمعراج وذلك أن الله تعالى يسر لنبيه الانتقال من المسجد الحرام بمكة ليلا إلى بيت المقدس بالشام قبل الهجرة بجسمه وروحه وهو مستيقظ يشاهد من آيات ربه ويبصر عجائب الملك والملكوت وهذا ما يسمى فى لسان الشرع بالاسراء وإنكاره كفر لأنه يصادم القرآن قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا . ولا يسبح الله تعالى نفسه ويقدس ذاته إلا فى الأمر العجيب المستعصى على قدرة العباد وطاقتهم والذى لا يقدر عليه غيره فدل ذلك التسبيح على أن الاسراء والمعراج من عجائب الأمور التى اختص الله بفعلهما وذلك شاهد بأنهما كانا بالروح والجسد ويدل على ذلك قوله تعالى أسرى بعبده فإن العبد يشمل الروح والجسم جميعا ولأنه لا غرابة فى أن يكون الإسراء رؤيا رآها فى النوم حتى يكذبه الكفار فيما رأى حين قص عليهم قصص الاسراء والمعراج فتكذيبهم له وافتتان بعض المؤمنين بذلك برهان على أن ذلك كان بالجسم والروح .

والمعراج هو صعود النبى ﷺ من الأرض إلى السموات السبع ليشاهد عجائب صنع الاله وما أبدعته يد القدرة فى عالم النور .

ولتشرف به الملائكة وليعلم الملأ الأعلى ومن حضرهم من المرسلين أن الله قد بدل الناس كتابا بكتاب وأوجد أمة مكان أمة وأنزل شريعة ناسخة لشريعة وأن دولة القرآن المنزل على محمد ﷺ ذهبت بدولة التوراة المنزلة على موسى عليهما الصلاة

والسلام ونعم هـذا الشرف العظيم والاستخلاف الجديد : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وقد أشهد الله العالم كله فى هـــذا الجمع المبارك الحافل فى بيت المقدس وفى هذا المظهر السماوى الأعلى أنه اختار هـذا النظام الجديد إكراما لرسوله وللانسانية التى لوثتها سيئات بنى إسرائيل وإفسادهم فى الأرض وانحرافهم عن كتاب الله تعالى ورسالاته فاستوجبوا أن يستبدل الله بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم ولهذا المعنى ذكر الله تعالى قصص بنى إسرائيل بعد آية الاسراء وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا تتخذوا من دونى وكيلا . . والاسراء والمعراج ثابتان بشهادة خمسة وأربعين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقد أشار القرآن إلى المعراج فى آيات النجم ومنكره فاسق وقد مثل الله تعالى لنبيه بعض الحقائق من عالم الغيب فى سفره إلى بيت المقدس فرأى تارك الصلاة التثاقل عنها بكسر رأسه بالحجر كلما كسر عاد كما كان وهكذا حتى يذوق وبال أمره ورأى مانع الزكاة يأكل رضف جهنم وحجارتها وجمرها وسلاسلها يسرح فيها كما تسرح الابل .

ورأى المغتابين لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ورأى خطباء الفتنة الذين يقولون ما لا يفعلون تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ورأى الزوانى والزناة يصرخون ويصيحون فى مثل بناء التنور يأتيهم اللهب من أسفلهم ورأى قوما بين أيديهم لحم طيب نضيج فيتركونه إلى لحم نىء خبيث فيأكلون منه فسأل عن ذلك جبريل عليه السلام فقال هذا الرجل من أمتك تكون عنده امرأته حلالا طيباً فيتركها ويذهب إلى امرأة خبيثة حرام فيبيت عندها والمرأة يكون عندها زوجها حلالا طيباً فتتركه إلى رجل خبيث حرام فتبيت عنده ورأى جحراً صغيراً يخرج منه ثور عظيم ثم يريد أن يعود إلى مكانه فلا يستطيع فسأل عن ذلك فقال له

جبريل هو الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فتسير فى الآفاق ثم يريد أن يرجع فيها فلا يستطيع ذلك ثم رأى قوما يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فأجاب جبريل عن ذلك بأنهم المجاهدون فى سبيل الله تعالى تضاعف لهم أعمالهم إلى سبعمائة ضعف . ومن عجيب ما حدث فى تلك الليلة انفراج سقف البيت وانفتاحه ونزول ملكين منه إلى رسول الله ﷺ فى مبدأ الرحلة وشق صدره عليه الصلاة والسلام وهو أمر ثابت لا سبيل إلى إنكاره ولا ينكره إلا مكابر بل قد تكرر فى مناسبات مذكورة فى مواضعه من كتب الحديث والسير ومن وجوه التكريم صلاته بالمرسلين فى بيت المقدس إماما لهم غير منازع فى ذلك. واستقبال بعضهم له فى السموات يسلم عليهم فيردون عليه ويرحبون به ويدعون له بخير ويقولون مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح وبعضهم يقول مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح فرأى فى السماء الأولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى ابن مريم وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة إدريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى وفى السابعة إبراهيم عليهم الصلاة والسلام . وقد فرض الله عليه وعلى أمته الصلاة فى هذه الليلة خمسين مرة فى اليوم والليلة ثم صارت خمسا حين سأل موسى أن يراجع ربه عز وجل. وهذا دليل على شرف الصلاة وفضلها على غيرها من العبادات واستدعى لها الرسول ليسمع أمر الله فيها بلا واسطة وغيرها نزل جبريل وعاد النبى ﷺ إلى مكه أثناء الليل وفى الصباح أخبر قومه بما رأى فمنهم مصدق ومكذب ومنهم من أصابته الفتنة فى دينه فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون . وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وكذلك تنزل المعجزات على القلوب على اختلاف طبيعتها واستعدادها كالماء يصيب أرضاً سبخه لا تنبت شيئا ويصيب أرضاً كريمة منبتة ينتفع بها فنزهو نفعنا الله بهذه المعجزات وبصاحب السيرة العاطرة المباركة عليه الصلاة والسلام.

محمد السباعي عامر

من أعلام القرآن :

ابن قتيبة

للأستاذ متولى القفاعى

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة[1] العالم الكبير واللغوى الخطير والناقد الخبير والكاتب القدير والأديب الألمعى والحافظ الذكى والمؤرخ المحقق والراوى الصادق والمفسر المحدث المحيط بمشكل وغريب كتاب الله وسنة رسول الله المدرك لدقيق معانيهما وبعيد مراميهما والمؤلف المستقل الفكر الجرىء فى تقرير الحق الواضح للعلماء والأدباء أسس النقد اللغوى والأدبى الذى سار بذكره الركبان واستفاد من مؤلفاته الخاص والعام فى كل زمان ومكان ، وأجمع كل من وفق لقراءتها وفهمها على تفننه ودقته وقوة رأيه وحجته وحسن أدبه ورحيق عبارته وحاضر بديهته وذاكرته وسعة إطلاعه وحافظته وأحد رؤساء أهل السنة الناصرين لكلمتهم المدافعين عن عقيدتهم المتصدين لأبطال آراء خصومهم ودفع حججهم وبراهينهم ومن أكبر أولئك الذين قاوموا الشعوبية فى العصر العباسى الأول وصمدوا فى وجهها وأعلنوا حربا عوانا ضدها وحقروها وهزءوا بها وعملوا جهدهم على محوها والقضاء عليها وتعصبوا للعربية وأشادوا بذكرها وألفوا فى فضلها وأبانوا عظيم مؤددها وقديم شرفها ومجدها فلا غرو إذا وجدنا كتب التاريخ والأدب تفيض بالاشادة بذكره والتنبيه على عظيم فضله وجليل قدره

مولده ونشأته

أصله فارسى من مدينة مرو وولد أبوه بها أما مولده هو فاختلف المؤرخون فيه فبعضهم كابن الانبارى وابن النديم وابن الأثير قال أنه ولد فى الكوفة وبعضهم كالسمعانى

(١) قتيبة بضم القاف وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها باء موحدة ثم هاء ساكنة وهي تصغير قتبة بكسر القاف .

والقفطى قال أنه ولد فى بغداد فى شهر رجب سنة ٢١٣ هـ ولقد تربى رحمه الله فى بغداد وتثقف على أهلها وأخذ العلم عن رجالها . . شيوخه وتلاميذه.

شب ابن قتيبة فى بغداد وهى وقتئذ عاصمة الخلافة ومدينة الحضارة ومنبع العلوم والعرفان ومنتدى الأدب والبيان ومقصد العلماء والفقهاء ومحط آمال الأدباء والشعراء . فأكب على الدرس والتعليم وجد فى الأخذ والتحصيل على كبار المحدثين والمفسرين وأئمة الرواة واللغويين وشيوخ الأدباء والمتكلمين . فحدث بها عن إسحاق ابن راهويه ومحمد بن زياد الزيادى وأبى حاتم السجستانى وأبى الفضل العباسى وأبى الفرج الرياسى وأبى حفص حرملة ابن يحيى التجيبى المصرى وغيرهم من الأئمة الأعلام.. وقرأ كتبه ببغداد وانتفع بها كثير من أكابر العلماء والأدباء وأئمة اللغة وروى عنه كثيرون منهم ابنه القاضى أبو جعفر أحمد بن قتيبة الفقيه المالكى.

وأبو محمد عبدالله بن جعفر بن درسويه النحوى وإبراهيم بن محمد بن أيوب الصائغ وأبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الأديب . . وفى كتابه تأويل مختلف الحديث . . أن ممن قرأه عليه أبا بكر أحمد بن حسن الدينورى وأبا بكر بن حسين بن إبراهيم الدينورى وأحمد بن مروان المالكى . وروى كتبه المصنفة فى مصر . . حفيده أبو أحمد عبدالواحد بن أحمد بن عبدالله بن مسلم ..(مذهبه الفقهى وعقيدته) لم يصرح أحد من العلماء بمذهبه الفقهى والذى يظهر لنا أنه إن لم يكن مجتهداً له مذهب خاص كأغلب علماء عصره فليس بشافعى ولا مالكى ولا حنفى إذ لو كان شافعيا لذكره ابن السبكى فى الطبقات الكبرى أو مالكيا لذكره ابن فرحون فى الديباج المذهب كما ذكره ابنه القاضى أبا جعفر أو حنفيا لذكره اللكنوى فى طبقات الحنفية ولا يبعد أن يكون حنبليا أو على الأقل يذهب فى الأخذ بالحديث مذهب الامام أحمد وتكون نسبته إلى أحمد كنسبة البخارى إلى الشافعى رضى الله عنهم أجمعين ، وقد يستأنس على

ذلك بقول صاحب كتاب التحديث بمناقب أهل الحديث وكان يعنى ابن قتيبة يميل إلى مذهب أحمد وإسحاق ثم اختلفوا فى مذهبه الكلامى أهو من أهل السنة أمن الكرامية أمن من المشبهة فنسبه البيهقى إلى فرقة الكرامية.

وروى صاحب مرآة الزمان أن الدار قطنى قال كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه.

والحق أنه من أهل السنة ومؤيد لهم ومن الصدق والورع بالمكان الأسمى وإلى ذلك ذهب أكثر العلماء كالخطيب والذهبى وابن تيمية والسيوطى ووثقوه وردوا على من جرحه ونسبه إلى غير مذهبه فقد قال ابن تيمية فى كتابه تفسير سورة الاخلاص وهذا القول اختيار كثير من أهل السنة منهم ابن قتيبة وأبو سليمان الدمشقى وغيرهما وابن قتيبة من المثبتين أحمد وإسحاق والمنتصرين لمذاهب السنة ثم قال : . ويقال هو يعنى ابن قتيبه لأهل السنة كالحافظ للمعتزلة فأنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة (علمه ومؤلفاته) .

أجمع الذين تكلموا عن ابن قتيبة على أنه كان من أئمة العلماء وأعلام الأدباء وحفاظ الأذكياء وعلى أنه كان رأساً فى العربية واللغة وحجة فى غريب القرآن والحديث وعلى أنه الفقيه المثقف ثقافة دينية واسعة . .

أما تآليفه فأكثر من أن نحصى منها كتاب آداب القراءة . الرد على القائل بخلق القرآن أعراب القرآت وأعراب القرآن . كتاب القراءات معانى القرآن : غريب القرآن مشكل القرآن . . وفاته .

اختلف فى وفاته فقيل سنة سبعين وقيل سنة إحدى وسبعين وقيل فى أول ليلة من رجب سنة ست وسبعين ومائتين والأخير أصح قال ابن خلكان وكانت وفاته فجأة صاح صيحة شديدة ثم أغمى عليه ففاضت روحه الطاهرة رحمه الله رحمة واسعة ونفعنا بعلومه آمين ؟

متولى القفاعى

في صحبة المكفوفين

بقلم فضيلة الأستاذ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر

يخطىء بعض الناس حين يظن أن القرآن الكريم قد شوه صورة العمى وقبح منظر الأعمى لأنه أكثر من ذكر العمى. والأعمى في مواطن الذم والسوء وهذا ظن قد يساعده الشكل والمظهر ولكن الأمر يتبدل حين النظر الدقيق والبحث العميق وقد تتبعت الآيات الكريمة التي وردت فيها مادة العمى ثم بحثتها فلاحت لي فيها سمة غالبة هذه السمة هي أن القرآن لا يريد بمادة العمى في أكثر استعمالاته كف البصر وزوال الرؤية من العين ولكنه يريد بها ضلال العقل وسنة التفكير وخطل الرأي. ولنستعرض الآن طائفة من تلك الآيات لنتبين فيها ذلك.

يقول الحق تبارك وتعالى في سورة البقرة واصفا شأن المنافقين. « صم بكم عمى فهم لا يرجعون وهؤلاء المنافقون مبصرون حسا ولكن القرآن أراد أن بهم عمى عن الحق وضلالا عن الهدى فما أراد القرآن العمى الحسى بل أراد العمى المعنوى وهو شر ما يعاب به الانسان ويقول في سورة الأنعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ويقول في سورة يونس أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون والمراد به أيضا الضالون السفهاء الذين لا يستجيبون ويقول في سورة الاسراء ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا والمراد الأعمى عن الحجة المنصرف عن الدليل ولو كان له بصر زرقاء اليمامة وفي سورة الحج يقول فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب في الصدور والآية لا تحتاج إلى تعليق فهى في الباب أوضح ما يكون ويقول في

سورة النمل وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم والمقصود مفهوم ويقول فى سورة فصلت وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فالمقصود بالعمى هنا هو الضلال لا فقد أن البصر ولذلك قوبل بالهدى وفى نفس السورة يقول عن القرآن قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أى لا يفهمونه ولا يتأثرون به لبلادتهم وظلمة عقولهم وفى سورة محمد يقول عن المجرمين من الكافرين والمعاندين أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أى أضلهم عن الايمان فلا يهتدون إلى سبيل الرشاد ولذلك عقب الآية السابقة بقوله أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها . ويقول فى سورة فاطر وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور قال المفسرون هذه أمثال ضربها الله تعالى فى حق المؤمنين والكافرين فقوله الأعمى والبصير أى العالم والجاهل ولا الظلمات ولا النور أى الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور أى الجنة والنار وما يستوى الأحياء ولا الأموات أى المؤمنون والكافرون .

من هذا نرى أن أغلب الاستعمالات التى وردت فى القرآن الكريم لمادة العمى أريد بها عمى القلب والعقل والروح لا عمى البصر . فإذا أراد القرآن استعمال مادة العمى بمعناه اللغوى الاول وهو كف البصر لم يستعملها على وجه الذم والتقبيح بل يذكرها فى مواطن الرحمة أو التخفيف فهو مثلا يقول . . عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى فيذكر المكفوف هنا باللفظ الصريح لا ليتندر عليه ولا ليسخر منه ولا ليستهزىء منه . وإنما لكى يذكر رسول الله ﷺ بأن هذا الأعمى كان فى حاجة إلى الرحمة والاقبال لا إلى الأعراض أو الامهال والقرآن الكريم يقول فى آية أخرى

ليس على الأعمى حرج فيذكر أيضا كلمة الأعمى بمعناها الأصلي وهو كف البصر ولكن في أي موطن ليس في موطن الذم والقدح والتجريح بل في موطن الرحمة والتخفيف . وإذا فالقرآن لا يسخر من الأعمى كما يظن الجهال ولا يذكره ذاما أو ناقداً وإذاً فاستشهاد الكثيرين بالآيات التي تتضمن مادة العمى في الحملة على المكفوفين أو السخرية بهم استشهاد يدل على عمى في القلب وبلادة في الشعور وقد التفت إلى هذا المعنى بعض العباقرة وذكروه في كلامهم فقال إبراهيم التيمي . كفى بالمرء حسرة أن يفسح الله له في بصره في الدنيا وله جار أعمى فيأتي يوم القيامة أعمى وجاره بصيراً وقال معاوية ابن أبي سفيان لعبدالله ابن عباس ما بالكم تصابون في أبصاركم يا بني هاشم وكان ابن عباس قد كف بصره في آخر حياته فألقمه ابن عباس حجراً حين أجابه قائلا كما تصابون في بصائركم يا بني أمية . وسمعت عفيرة بنت الوليد البصرية العابدة رجلا يقول ما أشد العمى على من كان بصيراً فقالت يا عبدالله عمى القلب أشد من عمى العينين في الدنيا والله لوددت أن الله وهب لي كنه محبته ولم يبق مني جارحة إلا أخذها .

وقال رجل للقاسم بن محمد لقد سلب أحسن وجهك قال صدقت غير أني منعت النظر إلى ما يلهي وعوضت الفكرة في العمل فيما يجدي : والقاعدة التي نريد تثبيتها في الأذهان ولو بالالحاح في الاعادة والتكرار هي أن كف البصر ليس بعيب موجب للاحتقار وليس بنقص يعوق صاحبه عن السبق والتبريز في الحياة إذا هيئت له الوسائل والأسباب وكل ما يقال فيه هو أنه نقص جسمي لا يلام عليه صاحبه ولا يعاب وأحياناً يهش له صاحبه ويفرح به إذ يريحه من سيئات وييسر له حسنات ولعل أبا العلاء المعري أشار إلى ذلك من طرف خفي حين قال أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر . وكفيف البصر إذا أوتي

الموهبة ووانته الظروف قد يعلو غيره من المبصرين وقد يسودهم فى مواقف يقام لها كل ميزان ، ومن أمثلة ذلك أن أبا العلاء المعرى الضرير دخل ذات يوم على المرتضى بلا قائد فعثر فى طريقه برجل وتعجل الرجل فقال من هذا الكلب فأراد أبو العلاء أن يرد عليه سبه بأقذع منه ولكن فى أسلوب مطوى ومن طريق غير مباشر ، وفى الوقت نفسه يبين له أن هذا الضرير المشتوم أفضل فى علمه وحفظه من البصير الشاتم فأجابه ، أبو العلاء معرضاً به الكلب ياهذا هو من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ؛ ومعنى هذا أن المعرى يعرف للكلب سبعين اسما وإلا لحق عليه باعترافه هو أنه كلب . وهذه عبقرية لغوية مدهشة ، ومعناه أيضاً أن أبا العلاء يدرك أن شاتمه لا يعرف هذه السبعين فهو إذن كلب ولما شاهد المرتضى ذلك قرب أبا العلاء وأدناه واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه وهو ضرير إقبالا شديداً بعد أن ترك المبصرين وراءه ظهريا .

مولد الإمام أبى عبد الله الحسين رضى الله عنه

فى الليلة الخامسة من شهر شعبان المبارك سنة ١٣٧١ ازدان المسجد الحسينى بالزينات الكهربائية وأخذ القوم يفدون إلى المسجد زرافات ووحدانا وقام الاتحاد العام وتضامن القراء بإحياء ذكرى مولد سيد شباب أهل الجنه وسيد الشهداء بإحياء هذه الليلة المباركة بتلاوة آي الذكر الحكيم من كبار القراء .

فأخذ الأستاذ الصيفى وكيل الاتحاد العام يرتل القرآن ترتيلا وأعقبه الأستاذ حلمى عرفه وكيل المسجد الحسيني فألقى كلمة فى شمائل الشهيد العظيم .

واختتمت الحفلة بما ابتدأت به من الذكر الحكيم من الأستاذ الشيخ مصطفى إسماعيل رئيس جماعة تضامن القراء .

حيا الله رجال الاتحاد والتضامن وأكثر من أمثالهم حتى ينهضوا بمستوى يليق بمكانة إخوانهم من أهل القرآن .

اجتماع الجمعية العمومية
للاتحاد العام لجماعة القراء

أقام الاتحاد العام لجماعة القراء حفله السنوى بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة مساء يوم الجمعة ٢٢ رجب سنة ١٣٧١ الموافق ١٨ إبريل سنة ١٩٥٢ لانتخاب أعضاء مجلس الادارة برياسة حضرة صاحب الفضيلة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارى ورئيس الاتحاد العام وقد افتتح الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم .

وقد ألقى حضرة صاحب الفضيلة الشيخ منصور صالح كبير مفتشى وزارة الأوقاف سابقا كلمة بليغة حيا فيها رجال الاتحاد العاملين ونوه بمجهود الاتحاد وأعماله الخالدة وبعد ذلك أجريت عملية الانتخاب فاسفرت النتيجة عن فوز حضرات الأعضاء المذكورة أسماءهم بعد حسب ترتيب حروف الهجاء . . .

والاتحاد العام يهنىء حضراتهم بهذه الثقة الغالية ويشكرهم على ماقاموا ويقوموا به من خدمات جليلة نافعة إن شاء الله تعالى وهاهم حضرات الأعضاء :

(١) أحمد إبراهيم هانى، شيخ مقرأة السيدة نفيسه (٢) أحمد حسن البديوى، شيخ مقرأة المؤيد (٣) حنفى إبراهيم السقا ، شيخ مقرأة الامام الشافعى (٤) سعيد عبد العزيز السحار، شيخ مقرأة السيدة عائشة (٥) سيد غريب، شيخ مقرأة السيدة زينب (٦) عبد الحميد سراج ، شيخ مقارىء طنطا (٧) عبد الرحمن الدروى قارىء بمقرأة سيدنا الحسين (٨) عبد الرحمن عبد الرحمن عبده قارىء بمقرأة سيدنا الحسين ، (٩) عبد الله هنداوى ، مفتش عام المساجد سابقا ، (١٠) عبد المطلب يوسف صلاح

إمام مسجد الجودري (١١) قطب سليمان داود ، شيخ مقرأة الأميره فاطمه ، (١٢) متولي عبدالله القفاعي شيخ مقرأة السيدة رقية ، (١٣) محمد إمام شريف ، شيخ مقرأة عمرو . (١٤) محمد سليمان صالح ، شيخ مقرأة كعب الأحبار ، (١٥) محمد سيد أحمد الطوخي ، قارىء السوره بمسجد أبو العلا (١٦) محمد عبدالله البلبيسى ، شيخ مقرأة الامام الليث ، (١٧) محمد محمد الصيني ، شيخ مقرأة القبة الفداوية (١٨) محمد محمود المنوائي ، رئيس دائرة مصر القديمة لجماعة تضامن القراء (١٩) محمود خليل الحصري ، شيخ مقرأة عبدالمتعال بطنطا (٢٠) مصطفى إسماعيل ، رئيس جماعة تضامن القراء

مطبوعات الاتحاد الجديدة

	ص
١ — تذكرة الاخوان بأحكام رواية الامام حفص بن سليمان	١٥
٢ — فتح الكريم المنان فى آداب حملة القرآن	٢

تأليف فضيلة الأستاذ الشيخ على محمد الضباع
شيخ عموم المقارىء المصرية

وتطلب من الاتحاد العام لجماعة القراء
٣ جامع عزبان بميدان محمد على الكبير بمصر

السنة الرابعة

العددان : السابع والثامن